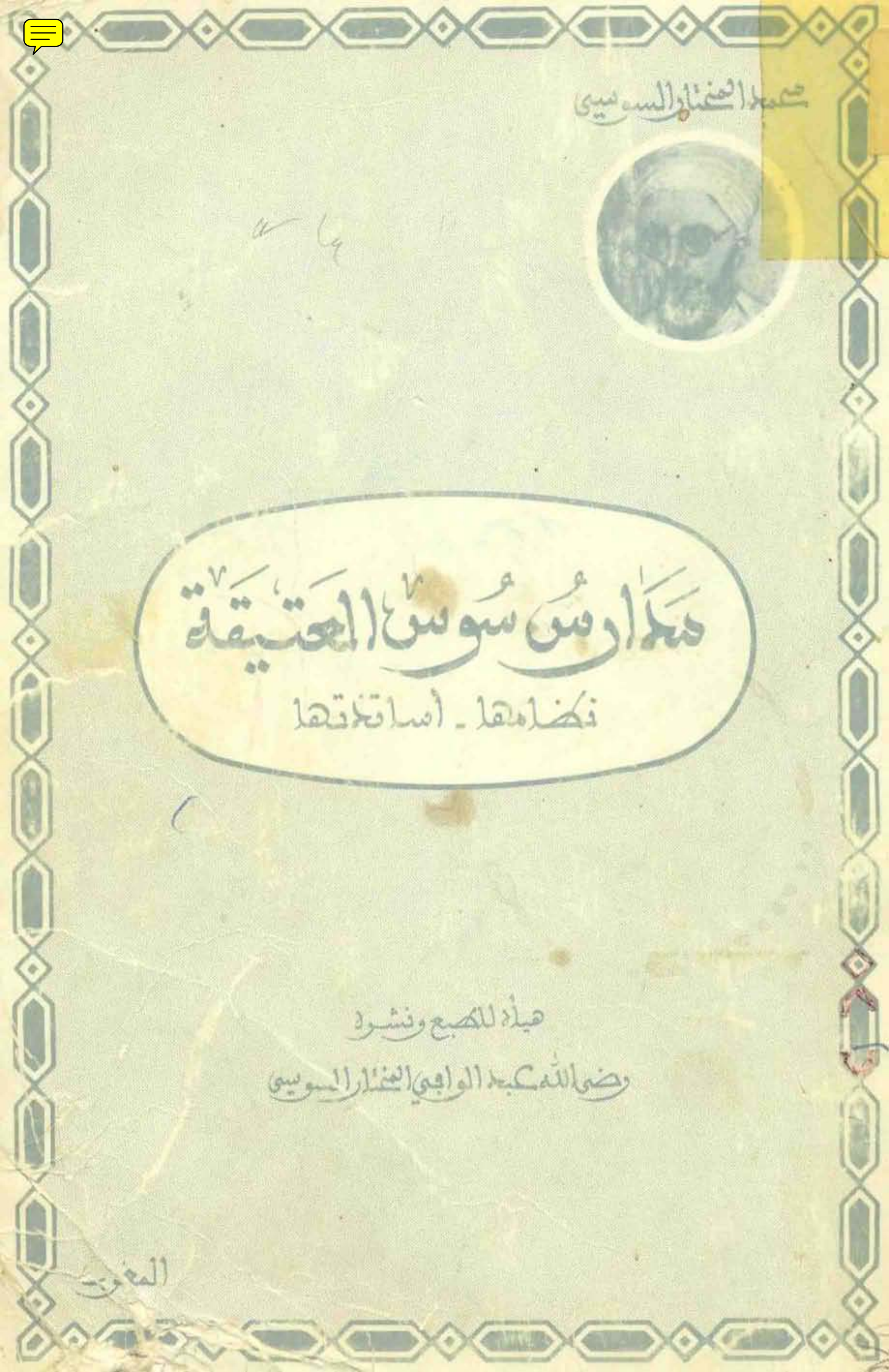
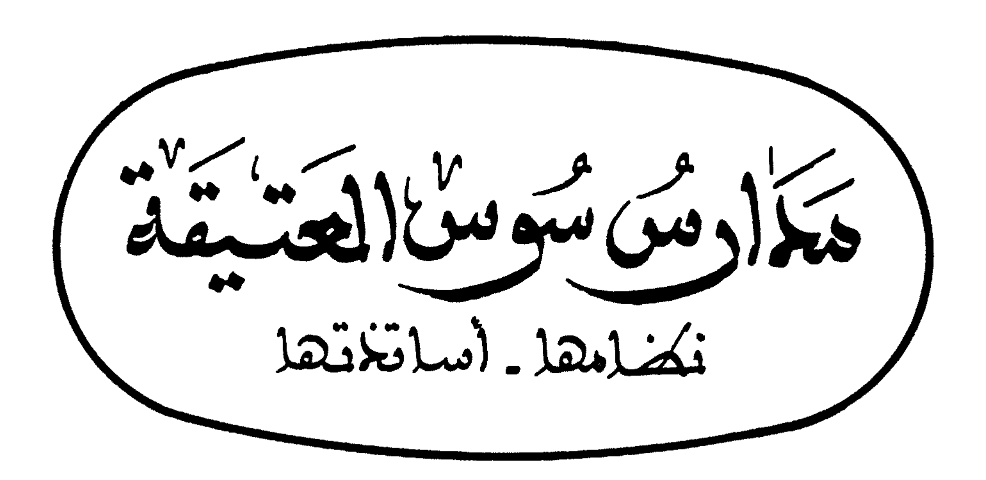

محمد المختار السوسي
مدارس سوس العتيقة
نظامها - أساتذتها
هيأه للطبع ونشره
رضى الله عبد الوافي المختار السوسي
المغرب

محمد المختار السوسي





مدارس سوس العتيقة

نظامها - أساتذتها

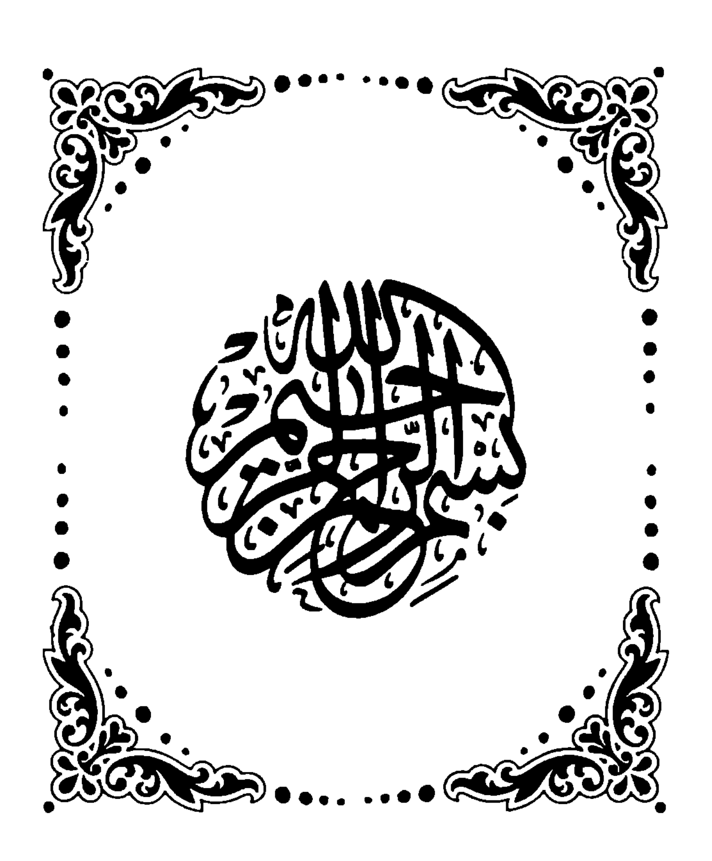
هيأه للطبع ونشره

رضى الله عبد الوافي المختار السوسي

المغرب



صورة المؤلف وهو في ريعان شبابه


بسم الله الرحمن الرحيم

تقـديـــم

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة تتبعت فيها مدارس سوس، فأذكر من درس في كل واحدة منها، في رواية خيالية كسياحة، أمرُّ فيها على كل مدرسة، فأذكر ما أعرفه عنها، كنت أكتب ذلك ولكن لم أستتم الموضوع، وبودي لو أجد فراغا لأتفرغ لاتمامه، فيكون مستقلا في رسالة تتضمن كل نظام تلك المدارس...

سوس العالمة ص : 223

كان ذلك مشروع **محمد المختار السوسي** رحمه الله، وتلك كانت أمنيته بالنسبة لمؤلفه هذا، ولكن المنايا كانت لمثل هذه الأماني والطموحات بالمرصاد، ليتيم ينتظر منذ عقود من يخرجه للموجود إلى القراء، المتعطشين إلى كتابات **محمد المختار السوسي**، التي تنبض صدقا وتفوح نزاهة، وتلك الصفات وحدها هي التي تضمن لأي عمل بشري كان، الخلود والاستمـــرار .

وها نحن اليوم نضع بين يديك أيها القارىء الكريم ثمرة من ثمرات هذا الكاتب وهي تؤرخ لمؤسسات عظيمة، عظمة تاريخ مغربنا، مراكز علمية ساهمت في غرس بذور الثقافة العربية الاسلامية، في جباله وسهوله، رعتها وسقتها أيادي من عملوا بها وساهموا في سبيل إعلاء بنيانها الشامخ، بتضحيات عــز نظيرها .

والكتاب بفصليه كما سيلاحظ القارىء يتجاوز رقعة سوس، ليحكي تاريخ

المدرسة الاسلامية العتيقة في المغرب كله،ودورها البارز في نشر اللغة العربية وعلوم الدين، مع إشارات ذكية وتعليقات إضافية، تفيد المؤرخ وتمتع الأديب، بأنها تنتزعه من حاضره لتعود بذاكرته إلى عالم ذلك الماضي المجيد، بعاداته وتقاليده، ولولا أمثال هذه الكتابات التي ترسمه حبرا على ورق حيا متحركا يتحدى الزمان، لأصبح في خبر كان أمام زحمة الحداثة والعصرنة

والكتاب أيضا ذو أهمية قصوى، خاصة إذا علمنا بأنه من بواكير بنات أفكار **محمد المختار السوسي** والذي خطه في السنوات الأولى من منفاه الالغي، وهو بذلك يسمح للمهتم بمتابعة مسار التأليف والكتابة عند هذا الأديب الكبير، والكتاب أولا وآخرا مساهمة في بناء تاريخ مؤسساتنا التاريخية،هذا التاريخ الذي لما يزل في خطواته الأولى، وما أحوج مسيرته إلى مثل هذه اللبنات التي تأتي الفينة بعض الأخرى لتعلي بنيانه وتقيم صرحه

وبعد، فقد حاولنا جهد المستطاع، أن نخرج هذا العمل مخلصا أبلغ ما يكون الاخلاص من مسودته الأصلية، محترمين لرغبات مؤلفه رحمه الله، متوخين الآمال في كل خطوات إعداده، وإنا لنرجوا أن ينال هذا العمل رضى القارىء وأن يتقبله من عائلة أخذت على نفسها عهدا بأن تخرج وتنشر كل أعمال هذا العبقري الكبير، لتكون بذلك قد أرضت روحه الطاهرة، وتؤدي بذلك الرسالة المنوطة بها، والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل

(الناشر)

رضى الله عبد الوافي المختار السوسي

الفصــل الأول :

نظـام المدارس وكيفيـة التدريس بهـا

ويحتـوي على

البـاب الأول	**مبحث القــرآن**
الباب الثاني	**مبحث العلــوم**
الباب الثالث	**مبحث الديــانة**

الباب الأول :

مبحث القرآن

ويتضمن

1 ـ المكاتب
2 ـ أجرة المعلم
3 ـ نظام تعليم القرآن
4 ـ الراحات
5 ـ عادات تتخلل ذلك
6 ـ تأديب المعلم
7 ـ الحزب الراتب
8 ـ كيف تلاوة القرآن ؟
9 ـ كلمة عن ماضي تعليم القرآن وحاضره
10 ـ نزهة الطلبة السنوية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

ـ 1 ـ المكـــاتـب

هذه اللفظة مفردها مكتب، ويطلق أيضا على هذا المعنى من هذه المادة، نفسه لفظة كتاتيب ج كُتَّاب، وهـذا الفـرد بلفظـه يوافـق جمـع كـاتب، ولذلـك جـانس بينهمـا مـن قـال

وأتى بكُتَّاب لو انبسطت له   فيهم رددتهم إلى الكُتَّاب

والمكتب هو المحل الذي يتعلم فيه المبتدئون بمنزلة المدارس الابتدائية اليوم في الأمم المتمدنة، هكذا كان يطلق، ثم صار يطلق على المحلات التي يتعلم فيها القرآن مع مبادىء الدين، غير أن هذه اللفظة الآن قلما تروج في مغربنا هذا، حيث استبدلت في المدن وما إليها من سكان العرب بلفظة «الاحضار»، كأنه مصدر أحضر والجمع الاحضارات، وفي بوادينا السوسية وما إليها من منازل البربر يطلق على ذلك لفظة «أَخْرْبِيشْ»، وجمعه «إِخْرْبَاشْ»، والمفرد بفتح الهمزة فخاء فراء مسكنتين، فباء بعدها ياء مد، فشين، والجمع بهمزة مكسورة فخاء فراء مسكنتين، فباء فألف مد، فشين، و«أخربيش»، هذا هو دائما قسم من الأقسام التي يتركب منها البناءات والبيوت، التي يطلق عليها إسم «المسجد»، وهو المصلى والمتوضأ ومسخن الماء، وهو الذي يطلق عليه «أخربيش»، أصالة وبيت الطَّالْب، وتستدير أمامها ساحة فيها يتكون المكتب، ويطلق عليه أيضا «أخربيش» لأن المسجد إذا كانت القرية كبيرة، فإن هذه

الأقسام التي ذكرناها تكون كلها، ويطلق على الجميع إسم المسجد، ويجمع ذلك كله باب خارجي ويكون للطَّالْب وتلاميذه محل خاص منعزل عن مجلس سكان القرية، وإذا كانت القرية صغيرة، فلا يكون فيها إلا المصلى والمتوضأ وبيت الطَّالْب ومسخن الماء، وسقيفة يقرأ فيها التلاميذ، ويوقدون النار بعد العشاء في مسخن الماء نفسه، والغالب في مساجد أهل الجبال أن تكون ضيقة كديار أهلها، والغالب على مساجد (أزاغار) في أحواز (تزنيت) إلى (هشتوكة) و(راس الوادي) السعة والرحب، لأن ديار أهلها ومساكنهم فيحاء متسعة، وقد ينعكس ما ذكرنا، لأن ذلك يتبع حاله القرى وساكنيها

ـ 2 ـ أجـــرة المعلـــم

من المعلوم عند المغاربة قاطبة، أن في كل قرية من قرى البادية مسجدا يختص بتلك القرية وحدها، فسكانها يقومون به من جميع النواحي، والشائع الذائع أن المؤاجرة تكون مسانهة لا مشاهرة، وهذا عام في (المغرب) كله، من (وادي نول) إلى (وجدة)، غير أن هذه الأجرة تختلف بحسب القرى وبقدر السكان وبمقدار ثروتهم، وباعتبار ما يملكون وما يستنتجون منه معاشهم، ويجولون في معتركه الحيوى، والمعلم متى أطلقناه فهو بنفسه إمام المسجد ومؤذنه غالبا، ومسخن ماء الوضوء صباحا وقبل الظهر وقبل المغرب، إن لم يتول ذلك التلاميذ أو غيرهم، ثم في بلادنا يؤاجر المعلم بقدر معلوم من الشعير يوفيه سكان القرية، من البيادر بعد درس المحصولات وتصفيتها، وقد علم كل واحد المقدار الذي يلزمه من ذلك، ويحرثون له مع ذلك بجميع بهائم السكان، ويقوم الامام بمؤونة الحارثين ذلك النهار، ثم في فصل الربيع يعطى الزبد من عند كل من له بقرة أو غنم، مقدار ما يستخرج من مخضة واحدة، ومن لا غنم له ولا بقر أو كانت له، ولكنها لا تحلب فليس عليه شيء من الزبد البتة، ثم يعطى

أيضا جزة من الصوف من عند كل من له غنم فقط، ثم في بعض قرانا كقرية (الزاوية) يعطى أيضا نحو صاعين نبويين من الجزر اليابس المدقوق، وفي عيد الأضحى يعطي كل بالغ بالغ قرشا، يستعين به الامام في اشتراء أضحيته، وبعض القرى تشتري له الأضحية بنفسها، فهذه أجرة المعلم الواجبة التي يدخل عليها وتستوفى كلها ولابد، وأما بعض النوافل التي يقدمها آباء المتعلمين عند قدومهم من بلاد التمر أو مثل ذلك، فإن ذلك لا نتعرض له، لأنه ليس بالفرض اللازم، وأما مؤونته اليومية فإنها بالمناوبة على جميع السكان، كما هي عادة بادية (المغرب) جمعاء، غداء وعشاء في إناء صغير من البخار له غطاؤه منه، ويوضع في طبق صغير مقعر يصنع على مقداره، وتكون لهذا الطبق حمائل ثلاثة، تثلث الجهات الثلاث، وتربط مجموعة في مقدار دراع، فيحمل به ذلك الاناء، ولا وجبة وسط النهار عندنا في هذه الجبال، نعم كانت عند بعض القبائل (الأزغارية)، وعهدي بأهل (إفريان) يأتون إلى الطَّالْب عند الظهر بخبزتين أو ثلاث رقاق، مع سكرجة فيها زيت أرگان، ثم لا أدري أذاك عام دائما، أم إنما يكون في بعض الأزمنة المخصبة، وذكر لي أن في بعض قرى (بعقيلة) و(سملالة) تعطى للطَّالْب وجبة نصف النهار أيضا، ولكن ذلك على كل حال قليل، وعهدي بأهل قريتنا يعتنون بطعام الطَّالْب عناية تامة، فتجد النساء يهيئن إداما أو لحما إن تيسر ليوم نوبة الطَّالْب، ولكن ذهبت تلك النيات بذهاب ذلك الجيل

ــ 3 ــ نظــام تعليم القرآن

يكاد تعليم القرآن في جميع أرجاء (المغرب) يكون على وتيرة واحدة، في جوهره ويسر تعلمه، غير أن في بلادنا هذه في وسط ذلك النظام زيادات على غيرها، أورثها الحرص والاجتهاد اللذين علم بهما السوسيون قاطبة، والجزوليون

خاصة، يستفيق «الطَّالْب»، وهو الاسم الذي يحمله كل إمام إمام في أي مسجد مسجد، عند طلوع الفجر بنحو ساعة ونصف أو ساعتين، وتلك عادة مستمرة عند جميع الطلبة المعلمين، فيوقظون التلاميذ وهم يرقدون عندهم في المسجد، بحيث لا يبيت في داره إلا الصبية الصغار، الذين لم يدركوا بعد القيام بأنفسهم، أو لم تكن لهم سُوَرٌ يحرص عليها المعلم أن لا تنسى، ثم يتوضأ البالغون منهم، فيجلسون لقراءة سورهم فيقرأون من خمسة أحزاب إلىٰ ثمانية فيطلع الفجر، وقد حضرت الجماعة، سكان القرية وتوضأوا، فيقوم الامام فيصلي بالناس فيقرأ الحزب مع تلاميذه، ثم يقومون وقد أسفر الصباح، فيتناولون ألواحهم فيقرأون منها، وقد كانوا أتقنوا حفظها أمس إتقانا تاما، ثم يعرضونها العرضة الأخيرة على الطالْب، فيقومون لمحوها، فيبتدئون الكتابة والشمس كما ذَرَّ قرنها، ثم إن كانوا يكتبون من عند أنفسهم فإنهم ينتبذون عن الطالْب، وإن كانوا يستفتون يستديرون به نصف الدائرة، فيستفتيه كل واحد منهم جملة جملة، فيقول التلميذ، وفي رأس لوحته ﴿يسٓ والقرآن الحكيم﴾ يا سيدي ﴿يسٓ والقرآن الحكيم﴾ بصوت عال، فيجيبه الطالْب ﴿إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم﴾ وهكذا، فيقول هذا وذاك وذلك، كل يستفتي من المحل الذي وصله، والطالْب بينهم يجيب كل واحد واحد، من غير أن تتداخل إجابة هذا في جواب ذاك، وإن كانوا أكثر من عشرين، فيراهم من لم يعتد هذه الحالة فيقضي عجبا، من حضور ذهن الطالْب ومن شدة عارضته، ومنهم مع ذلك من يمر بلوحته لتلميذ آخر، فلا يشغله هذا عن ذاك، ثم من الطلبة من يوزع بعض هؤلاء المستفتين على كبار التلاميذ، فيجلسون حولهم حلقا حلقا، حتى إذا كتب هؤلاء المستفتون، وقد أقبل الغلمة الصغار من بيوتهم، فيشتغل الطالب بتعليمهم حروف الهجاء وبعض السور القصيرة، أو تعليم الخط كل بحسبه، وتعليم الخط عندنا يجري وفق المعتاد في (المغرب) كله، يكتب الطالْب على اللوحة بذنب القلم الحروف، فيتبينها التلميذ فيتتبعها بقلمه، ثم بعد أن ينشط لذلك، تسطر له الحروف أيضا فوق السطر، ثم

يكتب أشكالها في السطر تحتها، وهو يسامت بها ذلك، هكذا وهو يسير هذا السير الوحيد، حتى يتعلم كيف يخط بعد شهور أو سنة. والبلوى بهذا التعليم العقيم ضاربة أطنابها في جميع الشرق قبل اليوم، ولكن الدول الشرقية كلها صارت تنتفض عن هذه الطرق الملتوية إلى الطرق المحدثة، التي هي إلى التعليم كاليد للفم، هكذا يشتغل الطالْب حتى يكتب التلاميذ كلهم، وأما الكبار منهم الذين يكتبون من حفظهم، فهم في محلاتهم يكتبون منتبذين، وأما هؤلاء الذين يستفتون فإنما يكتبون بأيديهم سطورا قليلة فيحفظونها أولا، ثم يتم لهم الطالْب أسفل اللوحة ما بقي فيها بيده، هذا والقيامة في المكتب قائمة، وأصداء رنات التلاميذ بلغت عنان السماء، والطالْب يصرخ صرخات تقطع نياط القلوب، والحبل المفتول يتلوى على ظهور كل من التلاميذ بذنب أو بغير ذنب، ولا يفطر أحد منهم إلا بعد أن يحفظوا كل ما كتبوه، وبعد أن يجتاز الطالْب على ألواح الذين يكتبون الأرباع والأنصاف، وبعضهم يذر هذا الاجتياز حتى يفطر، ولكن العادة عندنا على تقديمها إلا لضرورة، ثم يتفرق التلاميذ للافطار من ديارهم، فيأوبون مسرعين فيبتدئون سورهم، وهم متراصون أمام المعلم، وهو يمر بعينه على الجميع، وأمامه من عنده نوبة قراءة أحزابه، ثم لا ينفتلون من مقعدهم ذاك، إلا بعد الحادية عشرة أو نصف النهار، بعدما قرأوا عشرة أحزاب أو خمسة عشر بحسب طول النهار وقصره، ثم يأمرهم الطالب أن يستريحوا، فينجزون في زوايا المكتب فينامون إلى أن يصل وقت الظهر، ويؤذن المؤذن فيقومون، ثم يختلف كل واحد إلى داره، فينتشل ما تيسر عند أهله بسرعة فيأكله، والغالب أن يكون تمرا في بلادنا، فيأكله في داره أو يضعه في كيسه، ثم يتوضأ التلاميذ مع جماعة القرية فتصلى الظهر، فيحمل التلاميذ ألواحهم فيقرأون الجهات القديمة التي كتبوها صباح الأمس، فيقرأونها وقد مر الأستاذ مع كل واحد منهم على الوجهة التي يقرأها، بعد أن عرض التلميذ ممحوة الصباح، ثم يكررونها إلى العصر، ولا يمكن أن ينزلوها من حجورهم وإن أتقنوها حفظا إلى العصر، فيعرضونها عن الطالب فتصلى العصر، فيقبلون على

قراءة السور، إلى أن تكون الشمس على طرف النخيل وشغف الجبال، فيأمرهم الطالب أن يرتاضوا سويعة قدر فواق الناقة، فيرجعون ويتناولون ألواحهم، فيقرأون الجهه القديمة التي حفظوها آنفا، عند العصر، إلى أن تصل المغرب فتصلى، فيقرأ الحزب، فيرجعون أيضا لقراءة السور إلى العشاء، فإن صلوها يذهبون إلى ديارهم ليتعشوا، ثم يأوب كبارهم ومن يتلوهم إلى المسجد وتوقد نار في وسط المكتب، فيستديرون بها حلقة فيقرأون تلك الجهة القديمة، ثم يعرضونها عرضا آخر على الطالب، ثم يقرأون أحزاب ألواحهم، ثم يتأتى أخيرا لهذه السلسلة الطويلة أن تنتهي، فيمكن لهؤلاء التلاميذ الذين كأنهم خلقوا من الفولاذ أن يذوقوا للراحة طعما، فيستلقون على جنوبهم التي يعلم الله كيف كانت بالحبال الأزاغب التي تتلوى عليها طول النهار تلوى الأفاعي في مساربها

فهذه سيرة التعليم طول النهار تقصيناها بكل دقة، دروس دينية دائمة تكرر في كل نهار

ـ 4 ـ الــراحـــات

هناك راحتان راحة أسبوعية وراحة سنوية، أما الأولى فتكون عشية الأربعاء والخميس والجمعة، ويذكر أن ذلك سنة عمرية، وعادة معلمينا في ذلك أنهم يسرحون التلاميذ مع صلاة العصر يوم الأربعاء، كما هي عادة المغربيين كلهم، غير أنه عندنا يرجع التلاميذ صباح الخميس، فيحملون الألواح فيقرأون الجهة القديمة التي حفظوها عند عصر الأربعاء، ثم يعرضونها عرضا آخر على الطالب، ثم يقرأون أحزاب ألواحهم، وربما يقرأون معها أحزابا أخرى، ثم يسرحون حيث لا يرجعون إلا في أصيل الجمعة، إلا من كان يعرف حزب عشية الخميس وصباح الجمعة فلابد أن يحضره، وعند الأصيل يجتمعون، فأول ما يعملون إصلاح «الدوي» ووضع «ليقة» جديدة إن احتاجت إليها، وإذابة

«الصمغ» فيها، و«الصمغ» معلوم يصنع من الصوف المحروق في إناء، ثم إصلاح الأقلام ونجر المساطر التي تصنع عندنا غالبا من جريد النخيل، أو من القصب، وربما صنعت من النحاس الأصفر، وذلك قليل جدا، ومن لم تكن له مسطرة يكتفي بأن يسطر بطرف لوحة مستقيمة، إن صادف أستاذا يغضي، وإلا فلابد منها وإن كان ما كان، ثم يحملون الألواح فيقرأون القديمة التي يغسلونها صباح الغد، فهكذا دواليك في كل أسبوع

وأما الراحة السنوية فهي «العواشر» المعهودة المعلومة في كل أنحاء (المغرب) حولي الأعياد الثلاثة الفطر والأضحى والميلاد، ومقدارها أسبوعان أسبوع قبل العيد وأسبوع بعده، ثم ترجع القراءة كما ذكرنا، ثم إن الطّالْب في القرى التي فيها التعليم، لا يمكن له أن يذهب إلى داره إن لم يكن من أهل القرية، إلا في عشية الأربعاء إلى عشية الجمعة، فإن هذا الزمن له، وإلا في العواشر من أولها إلى آخرها، وإن كان الغالب أن الطّلْبة يمكثون يويمات في أول العواشر، لتتبع سور التلاميذ، حيث يأتون في كل صباح صباح إلى المكتب ليكرروا سورهم، حتى إذا أطل العيد وبقي له يوم أو يومان يروح الطالْب إلى أهله، حتى يسبع العيد، لكن إذا لم يكن في القرية من يصلي فيها العيد، ولم يكن بين سكانها من هو أهل لذلك لعلمه ولدينه، فلا يذهبن الطالْب إلا بعد أن يصلي العيد بأهل القرية.

فهتان الراحتان هما المعلومتان المشهورتان، وهناك بعض راحات صغار غير منتظمة، لا نعرج عليها الآن، كالتي تقع إذا اختتم تلميذ القرآن أو نصفه، فإن هذه سيأتي ذكرها، نعم هناك راحة أخرى عند تمام ختمة الحزب الراتب من وقت اختتام الحزب إلى العشاء، ثم يرجعون إلى ديدنهم، غير أن هذه كَلَا راحة، لأن التلاميذ لا يكتسبون فيها حريتهم، بل يبقون في المكتب تحت أنظار الطالب، وإنما كل ما هنالك أنهم يسكتون عن القراءة فقط، وهذه في عرف التلاميذ لا تعد راحة، وعرف كل قوم هو الذي يتبع، ما دام المقال حولهم، والعادة محكمة، كما قال القاضي الحسين

ـ 5 ـ عـادات تتخلـل ذلـك

حقيقة هناك عادات كثيرة، تتعلق بما مضى مما يأتي به التلاميذ إلى الطّلْبة، في يوم الأربعاءات وفي العواشر، وكيف يدور التلاميذ في أبواب دور القرية عند إعلان العواشر، وكيف تكون ختمات التلاميذ يوم يختم أحدهم القرآن أو أحزابا معلومة، أما في الأربعاء فالعادة التي كنا نعرفها، وعليها درجت طبقة من قبلنا، ولا تزال إلى الآن هي السائدة في المكاتب، أن كل تلميذ يأتي ببيضة بيضة إن كانت متيسرة، وإلا فإنه يأتي بما تيسر من الثمر حفنة أو حفنتين، ولا يتخلف أي تلميذ عن ذلك، وقد يأتي تلميذ بدل البيضة بفلوس أو قرش على سبيل الندور، وأما في العواشر فإن المعهود أن يؤتى بالدارهم، إما قرش أو قرشان أو ثلاثة أو أربعة

ومـــنتهاه أربـــــع إن جُرّدَا وإن يُزِد فَمــــا سِتَّـــا عَدا

وجميع التلاميذ يقومون بذلك، وهو واجب وجوبا ينفده الصبيان باستلقائهم في حجور أمهاتهم، وبين يدي آبائهم، ثم لا يغادرونها إلا وهي في أيديهم، وغالب الوالدين يعطون ذلك عن طيب نفس لمرجاة الخير والسداد في مستقبل أبنائهم، ثم إن أعلن الطالْب العواشر، يعمد إلى لوحة فيزخرفها للتلاميذ بأصباغ مخلوطة ببعض نباتات لها لُزوجَة يمزجونها ببياض ومح بيضة، وربما يكتبون فيها أبياتا من «البردة» بين نقوشها، وتحت الشرفات التي يرسمونها فيها بين مبيض ومصفر ومخضر ومحمر، على حسب ما تيسر من الألوان، ثم تلوى هذه اللوحة في برقع من الأغطية التي توضع على رؤوس النساء ويسمى (أعبروق) وهو أحمر، ولكن تقطعه طولا وعرضا خطوط من ألوان أخرى، ثم تجعل اللوحة في رأس قصبة طويلة، وقد شق رأسها حتى تدخل فيه، فيربط ما فوق بخيط، فيحمل القصبة أحد كبار التلاميذ، كأنها راية فيلق ثم يقفون أمام كل دار دار، فيقولون وما يقفون بنغمة واحدة يجهرون بهذا النشيد البسيط :

﴿بـيضَة بيضَة لله،يَاثْكَـلاَيْتْ تِسْنَـات،
مَاسْنْكُلاَّ لِلْوَاحْ،.................................(1)
نصر من الله وفتح قريب وبشر المومنين﴾

هذه الأنشودة هي التي يغردونها بأصواتهم الرخيمة، فيكررونها حتى يمنحهم أهل الله ما تيسر، إما شعيرا وإما تمرا، ثم يدورون على ديار القرية كلها، وكثيرا ما يتطلب أفراد من السكان أن يحلوا تبركا بتلك اللوحة المربوطة، فلا يذرهم التلاميذ حتى يعطوهم شيئا في مقابلة ذلك، ثم إن هذا الذي يجمع من ذلك كله، تقام به حفلة في المسجد، فتنصب قدور تفور باللحوم، وعلى كل تلميذ أن يأتي بخبزة من عند أهله، فيستدعى الطالب للحضور، وحفظة القرآن كلهم من القرية فقط، فهكذا تعلن العواشر، فما أتى به التلاميذ من عند آبائهم من الدراهم عند إعلانها يختص به الطالْب، وما جمع من الديار مطلقا فإنه لحفلة التلاميذ

---

1) لم يتمم المؤلف رحمه الله هذا النشيد، لأنه ربما لم يجد النشيد المناسب حيث أنه يختلف باختلاف المناطق السوسية، بل ونجد مثيلا له حتى في العامية المغربية، وقد عملت جاهدا لاستخلاص نشيد مناسب يكون قاسما مشتركا في مناطقنا السوسية.

بيضة بيضة لله ... يَاثْكَـلاَيْتْ تـنَـات
مَا سْنْكُـلاَ لْلْـوَاحْ ... لِلْـوَاحْ لِلْـوَاحْ
لْلْـوَاحْ الطَّـالْبْ ... الطَّـالْب اِلطَّـالْبْ
جنْتـي مَخلُولَـة ... خلْهَـا مُولاَنَـا.
مُولاَنَـا مُولاَنَـا ... لاَ تْقْطَـعْ رْجَانَـا
رْجانَـا خالَنْبـي ... النَّبـي وْ النَّبـي
مُحَمَّـدْ وْصْحَابُـو ... فِي الجَنَّـة يْتْصَابُـوا
أَتُضَا إزَّالْـي ... ألْيَقْـرَا كِتَـاب الله
يَا فتحْنَـا يَا رزْقْنَـا ... يَا رَبَّ آلعَالَمِيـنَ
نصْرٌ من الله وَفَتْـحٌ ... قَرِيبٌ وَبَشْرِ المُومنيـنَ

(الناشر)

وأما ختمات القرآن فمنها الصغرى والكبرى، فأما الصغرى، فإن كان التلميذ مبتدئا يسير سيرا بطيئا في قراءته، فإنه عند كل ختم ربع أو حزب، يأتي إلى الطَّالْب بلقمة كبيرة من البسيس أو الثمر، حتى إذا تجاوز الحزبين أو الثلاثة الأول، ينقطع ذلك إلى أن يصل حزب ﴿الرحمن﴾، فيصنع أهله جفنة من الطعام، وكثيرا ما يكون عصيدة في وسطها سمن، وربما يكون كسكسو عليه لحم، فيأكله التلاميذ في المسجد، ولكن الغالب أن الراحة لا تكون للتلاميذ هنا، ثم يقع مثل ذلك عند حزب ﴿قل من يرزقكم﴾، وعند حزب ﴿قال ألم أقل﴾ نصف القرآن، وأما الختمة الكبرى وهي التي تقام عند اختتام القرآن، ففي ذلك اليوم يصنع أهله جفنة من العصيدة بسمنها أيضا فترسل إلى التلاميذ في المسجد، ثم إذا تهيأ أهل التلميذ، فإنهم يذبحون ويوجدون طعاما كثيرا ويوقدون الفرن، وذلك علامة على صنع خبز، فتملأ القدور مرقا، والكسكسو يبرم ويركم في الأواني الكبيرة حوالي الاثافي، ثم يستدعى التلاميذ يقدمهم الطالب، ومعهم كل حفظة القرآن من القرية، فيفتتحون القرآن في أجزائه، فيقرأ كل واحد جزءا، ثم إذا اختتموا يدعون، فتمد لهم الأطعمة، المرق والخبز أولا، ثم قصاع الكسكسو المسنمة باللحوم والشيزى ثانيا، وماء المرق يدار عليهم في الأواني، ومغرف كبير يملأ لهذا وذاك، فهكذا يحتفل رب الدار، وقد كانت لوحة التلميذ مزخرفة على العادة المعروفة في جميع (المغرب)، حضره وبدوه، فيذهب بها إلى أهله، فتأتي النساء فيتبركن منها ويعطين دراهم للتلميذ وكذلك الرجال، ويكون ذلك للطالْب، كما هي عادة أهل الحضر أيضا، والفرق بين ما هنا وما هناك في ذلك ضئيل، ثم بعد خروج التلاميذ وحفظة القرآن من الدار، يستدعى كبار أهل القرية أو جميع من فيها فيطعمون، ثم ترسل قصعة أو أكثر بحسب الطاقة إلى المسجد عشية، ثم تنقضي الحفلة، والتلاميذ في ذلك اليوم في الراحة يقفزون ويقمصون

ثم إن حرف «ورش» هو الذي يعتنى به في بلادنا كثيرا، وربما يتصدى

بعضهم لحرف «البصري» أو «المكي» أو «قالون» أو «حمزة»، ولكن ذلك قليل، والمدارس التي عقلناها تعتني بهذه القراءات هي مدرسة(سيدي همُّو أولحسن) في (الأخصاص)، ومدرسة (الفهم) في (تازروالت)، ومدارس (هشتوكة) و(جسيمة)، وهذه يعتني بعض أساتذتها بكل القراءات السبع، كالأستاذ عبد الله الرجراجي رحمه الله في (المزار)، وقد كان الذي رفع لواء هذه القراءات في أواسط القرن الماضي الحاج محمد أعجلي في مدرسة (إِكْضِي)، ولكن الجزوليين لاعتنائهم بالعلوم، قلما يميلون بعد تحصيل متن القرآن إلا إليها

ـ 6 ـ تأديب المعلم

بقي أن نذكر كيف يؤدب المعلمون تلاميذهم في هذه البلاد، فنذكر أولا «الفَلَقَة» المعلومة في المدن وما إليها، والموجودة أيضا في (مصر) وما إليها، قبل هذا الانقلاب الأخير، لم تكن معلومة في بلادنا نحن، وإنما الموجود عندنا الحبال والعصي واللطمات واللّكمات والركلات والقرصات وتعليق في «الزرْكاء»، وإليك البيان إذا جلس التلميذ إلى الطالْب ليعرض لوحته ثم تململ فيها، فلا يجيبه إلا بلطمة أو رَكلة تلقيه من فوق دكة، كثيرا ما تتخذ في كل مكتب يجلس عليها الطالب ليطلع على كل التلاميذ، أو يتناول منها اللوحة فيضربه بها، والتلميذ متزحزح عنه، مبتعد منه خوفا وفرقا، وإذا كان الطالب يجوز على وجهة لوحة كان كتبها التلميذ من ذوي الأرباع أو الأنصاف، فإن هذا يستوفز عن يمين الطالب فيما يقابله، فيمد يده اليمنى فيمسك بها الحرف الأعلى الذي يليه من لوحته التي في حجر الطالب، واليسرى يمسك بها الدواة للطالب وهو يعيد ممحوته، ثم إذا ختمها سكت، والطالب يمر عينيه على السطور، وقلم غليظ بين أنامله يصلح به كل ما فسد، ثم إذا كان التلميذ شاديا قد تقدمت له معلومات رسمية، فإن الطالب يناقشه إذ ذاك في كل ما

أفسده، ويجر بعض الكلمات المفسدة إما إلى فوق وإما إلى تحت، فيصلحها فيه بخط غليظ جدا بحسب الخطإ، وربما يتناول «الصمغ» بسبابته، فيكتب بها الكلمة المفسدة، وكل ذلك ليستحضر التلميذ خطأه فلا يقع فيه وقتا آخر، ثم إن الطالب يميل فينة بعد فينة على التلميذ المستوفز في ميمنته، فيلطمه أو يقرصه وذنب قلمه بين أصبعيه، وربما يطعنه به، والمقرص الرسمي يكون دائما تحت الذقون، ولذلك قلما تجد تلميذا إلا أثر له في عنقه، بل ربما يؤثر ذلك في بعضهم حتى ترم رقبته، فلا يستطيع أن يأكل، والوالدان يقولون في كل ذلك متى رأوه، رضي الله عن الطَّالْب فما أكثر اجتهاده، وجازاه الله عن أولادنا خيرا، وقلما تجد من يمتعض لولده إن رأى منه مثل ذلك، إلا بعض عقلاء فإنهم يأمرون بالرأفة والشفقة، ويقولون استدلالا لما يذهبون إليه، ﴿الرحمن علم القرآن﴾ يريدون أن تعلمه وهب من الرحمن، فلا ينبغي أن يعامل متعلموه بهذه الأتعاب والمشقات، هذا واللطم والركل واللكم يأتي بسبب أو بلا سبب، ثم هذا الذي ذكرناه كله ليس بالتأديب الرسمي الذي يتوعد به التلاميذ، وتتبتعد فرائصهم منه وإنما التأديب الحقيقي أن ينبطح التلميذ بين أربعة كبار ثم لا يصل الأرض بطنه، بل يبقى معلقا بين هؤلاء الأربعة، فينبعث الطالب وقد ألقى عليه رداءه، وتجرد ولم يبق عليه إلا قميص خفيف، وفي يده حبل عبل متين، إما من المسد، وإما من الحلفاء، وربما يكون مفتولا من الشعر ومن الحلفاء معا، ليكون أمتن وأشد تأثيرا، وربما يكون قبل ذلك منقوعا في إناء ماء، ثم يعمد الطالْب بكل ما في طوقه، من الجلد والقوة والمنة، فيشدي جنوب التلميذ الممدود، فلا تكفي أربعون ولا سبعون، والاستغاثات بلغت عنان السماء والاسترحامات التي تلين الجلاميد ويرق بها الفولاذ، لم تجد رحمة ولا شفقة ولا رقة في فؤاد الطالب الحنق المحتدم، كأنما مسه طائف من الجنة، ثم ربما يصادف هذا الحال بعض سكان القرية المحترمون في نظر الطالب، جالسا في مدخل المسجد، فتسري إليه الشفقة التي تخطت قلب الطالْب، فيلج عليه ويرغب منه في المسامحة بكل أدب وملاطفة، وإلا فمن يقدر أن يحول بين

الطالْب وبين رعيته التي يستبد بها استبدادا ؟ ثم يلقي هذا المسكين وقد يبلغ به الضرب إلى أن لا يقدر أن يستوي جالسا، ولكنه من خوف العفريت الذي لا يزال يهدده من فوق دكته، يتناول لوحته فينكمش بين التلاميذ، ثم لا يمضي يوم أو بعض يوم حتى ينسى ذلك. ويقع مثل ذلك لآخرين، والمصيبة إذا عمت هانت، ثم إذا كان ذنب التلميذ أعظم، وكان قلب الطالْب أقسى، فإنه يعلقه بعد ذلك في «الزركّاء» وما أدراك ما «الزركّاء»، وهي حبل ربط جانباه في خشبة في سقف المكتب فوق الموقد التي توقد فيه النار بعد العشاء ليكرر عليها التلاميذ ألواحهم، وكيفية تعليقه أنه يحمل ويلزم رغم أنفه أن يشبك بأصابعه وسط طرفي الحبل المعلق، ثم يطلقه من رفعه إليها، فتلتقى أشاجع أنامله، وهي ناتئة فوق الحبل، فيثقله جسمه، فيبقى معلقا بين السماء والأرض، ثم هناك من الطلْبة من يكتفي بذلك حيث يتركه خمس دقائق أو عشر أو ربع ساعة، بمقدار رقة الطالْب وقساوته، ومنهم من يضرب أرجل التلميذ وجنوبه وظهره وهو على تلك الحالة، حتى يشتفى من المسكين، ومنهم من يتجاوز ذلك، فيوقد نارا ويلقي فيها ملحا يفرقع تحته، فيكاد البائس المعلق يموت مما يجد من هذا العذاب الأليم، ثم لا يمكن لأنامله أن تنحل من ذلك، ما لم يرفعه رافع أيضا، حتى تعلو أصابعه فيفصل بينها، ثم يسقط على الأرض وقد أطلقه الرافع وهو الطالب غالبا، هذه هي «الزركّاء»، وهي أدهى من «الفَلَقَة» وأمر، ولكل قساة عادة متبعة، ولا ينبئك مثل خبير

هذا هو التأديب العنيف الذي يرتكبه الطّلْبَة المعلمون، ويرتضيه الآباء ويغضى عنه الرأي العام، وهو الذي يحمل بعض التلاميذ على الانتحار، إما بترد في بئر وإما بتناول سم، أو على الهروب عن أهليهم إلى حيث يجدون لأنفسهم أمانا، وقلما تجد من لم يهرب من بلد إلى بلد من كل من قرأ القرآن، ولا يحملهم على ذلك إلا هذه المعاملات القاسية، وقليل جدا أن يكون الحامل النفور عن القراءة والتعلم، ثم هذا الهروب يورث محنة أخرى وهي الكبل، فترى

واحدا أو إثنين في كل مسجد، قد كبلهم أهلوهم ليرغموهم على ملازمة القراءة، وقد كنت أنا واحدا من هؤلاء، فقد فررت من أستاذنا سيدي ابرهيم ابن الحاج، وهو يعلمنا في مسجد (إفريان) من (هشتوكة) يوما عند الزوال إلى قبيلة (جسيمة)، فقطعت نحو أربعين كيلو في سيف البحر، من وسط النهار إلى الغروب، وأنا إذ ذاك ابن تسع سنين، فظللت أجري وأنا ألتفت ورائي لئلا يتبعني ويقتفي الأستاذ أثري، فوصلت مصب «وادي سوس»، وما كنت أحجو أنه هناك، لأن قصدي أن أساير البحر إلى (أݣادير)، ثم أعرج إلى دار سيدي محمد بن عبد الرحمن الجسيمي، التي كنت فيها قبل ولقيت فيها ما تقترحه أماني الصغيرة ومشتهياتي المعسولة، ولكن حيث عارضني النهر وطلعت معه حتى صادفت مخاضة فيها عبدا يقطع إبلا أراحها في المرعى، والشمس غاربة أو كادت، فجاز بي المخاضة وسألني من أين أنا، فلفقت أكذوبة في الحين فقلت له إنني من (أݣادير) وقد هربت من أهلي، لأنني ذهبت لأفرغ من السقاء لبنا، فأفلت مني فانصب كل ما فيه، ففررت منهم خوفا أن ينالوا مني بضرب، ثم ذهب بي إلى إمام المسجد، فإذا بي قد عرفني هو أو بعض من هناك من أصحاب الوالد، فغدوا بي إلى دار سيدي محمد بن عبد الرحمن، حيث بقيت سادرا في غلواء أياما، وبينما أنا في دار الفقيه علي بن محمد الحبيب السباعي، وأنا أقفز كالغزال المقمر، طرق طارق باب الدار فابتدرت قبل أهل الدار لأنظر من الطارق، فلما فتحت الباب أو أطللت من خصاصه إذا بأستاذي ابرهيم ابن الحاج بعينه، فقمصت ورائي وصوتي متهرج، ونفسي المتتابع قد أخذ بأعظامي، وروحي قد بلغت التراقي، فاصطدمت في نكوصي وابن الفقيه فقلت له الطَّالْب الطَّالْب الطَّالْب، وا رباه ماذا أصنع فقال لي لا تخف فتعال معي إلى هذا البيت لتختبيء فيه حتى يذهب، فتبعته وأنا أخال أنني في طريق النجاة، ولم أدر أن هذا البيت هو القفص الذي يحرزني حتى يتوصل بي الطالب، وبعد لأي كأنَّ أهل الدار يقرون فيه الطالب بما تيسر، فتح أمامي البيت فوجدتني بين يدي السبع الضاري كما أتخيله إذ ذاك،

فرجع بي إلى المسجد، فكان ذلك سببا لجولاني في صهوة الأدهم بعد حين، ولكن الطالب أراد أن يغرب ويظهر اهتمامه العجيب بأولاد شيخه، فجمعني وأخي أحمد في كبل واحد، بعدما كان كل واحد منا في كبل على حدة، فوضع رجلي في ناحية ورجله في ناحية، ثم غادرنا ليصل أهله فقال إذا أردتما الآن أن تمكثا فامكثا معا، وإن أردتما أن تفرا ففرا معا

هذه تأديبات العصر الماضي، إذ الناس في تعليم القرآن وتعلمه في حرص شديد وشوق زائد، وكثيرا ما يتمنى إنسان منهم أن يرى من أولاده الذين خرجوا من صلبه، من يستظهر القرآن الكريم، ثم إذا عاينه فإنه يجعله سيد إخوته، ويتصدق عليه بشيء من ماله يوم الحداقة، فرحم الله أهل ذلك العصر، وجعل الله أصحاب تلك الهمم في أعلى عليين. فإنه لم يبق من ذلك اليوم إلا أحاديث تدور، ثم سيأتي زمان تنقضي فيه أيضا هذه الأحاديث، والمغرب اليوم في مفتتح عصر جديد، والله وحده هو الذي يدري كيف تكون فيه الأحوال، ولله الأمر من قبل ومن بعد

ـ 7 ـ الحزب الراتب

أول من رتب الحزب الراتب وأعلنه رسميا في (المغرب) الموحدون، كما أظن أنني قرأت في «المعجب»، ثم تمشى ذلك في القرون الماضية كلها إلى الآن، ثم من الناس من عادتهم أن يفتتحوا القرآن مع افتتاح الشهر، ويختمونه مع اختتامه إذا كان الشهر تاما وإن كان ناقصا تركوا ما بقي، فافتتحوه أيضا من أوله، فتجد من يعتادون قراءة الحزب على هذا النظام، يتخذون ذلك حسابا منظما لأيام الشهر، فما يحتاجون بعد إلى (رُزمانة) جديدة، والمدن في (المغرب) وكثير من البوادي بها على هذا، ومن الناس من يلتزم عادة تنسب للشيخ ابن ناصر، حيث يلتزمون قراءة ﴿سورة الكهف﴾ عشية كل خميس، و﴿سورة يسٓ وتبارك﴾ صباح كل جمعة، فيختل نظام الشهر ولا يعتبر، فتوافق

ختمة القرآن دائما يوما من أيام الآحاد، وأهل بلادنا على هذه العادة الأخيرة، لما كان بينهم وبين الناصريين من وشائج وأرحام دينية وتصوفية، منذ نحو 300 سنة

ثم ان الذي يفتتح الحزب إمام المسجد أو كبير القراء إن حضر، بعد أن يستعيد ويبسمل، إن كان رأس الحزب أول سورة، وإلا فيقتصر على الاستعاذة، ويختتم بأشياء أخرى اختصت بها هذه البلاد، حيث يقال أن وراءه آذان الله وملائكته يصلون على النبي ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما، اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، عدد خلقك ورضى نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك﴾، ثم يقول بعضهم بعد هذا ويزيد ﴿ومنتهى رحمتك ومبلغ علمك وآياتك، ورضي الله تعالى عن ساداتنا أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين وتابعي التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم اجعلنا يا مولانا من التابعين المحبين لهم بإحسان إلى يوم الدين﴾، وبعضهم كما يصنع الالغيون لا يقول ذلك، بل بمجرد ما يقول ﴿ومداد كلماتك﴾ يقول ﴿اللهم ارحمنا وارحم والدينا وارحم موتانا واصلح أحياءنا، وارحم من علمنا وارحم بفضلك جميع المسلمين والمسلمات يا أرحم الراحمين يا رب العالمين، اللهم يا رب بجاه نبيك المصطفى ورسولك المرتضى طهر قلوبنا من كل وصف يباعدنا عن مشاهدتك ومحبتك، وأمتنا على السنة والجماعة والشوق إلى لقائك يا ذا الجلال والاكرام، اللهم اجعلنا من شهداء الحق، قائمين بالقسط، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين﴾، ثم إذا كان الصباح فإنهم يزيدون على هذا ﴿سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت﴾، ثم يكرر ﴿سبحانك اللهم﴾ إلى هنا مرة أخرى، ثم يقال ﴿اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما

استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يا رب العالمين﴾، ثم يقال هذان البيتان

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي	فالعبد ضيف وضيف الله لم يُضم
من يعتصم بك يا خير الورى شرفا	فالله حافظـــه من كل منتقـــم

وذكر هذين البيتين حديث العهد وليس بقديم، ولذلك لم تعم تلاوتهما بعد الحزب في جميع الجبال هذه، وإنما شاع ذلك في (إلغ) و(ايفران) وما إليهما وبعض الالغيين كأبي القاسم التجرمونتي يقول في محل هذين البيتين، هذه الأبيات الأخـــرى

إلـيك رسول الله أشكـو نوائبـــا	من الدهر لا يقوى لها المتحمل
وإني لأرجـــو أنها بك تنـــجلي	لأنك ملجـــأ وحصن ومعقـــل
عليك صلاة الله ما ذر شارق	وتسليم يا من عليـــه المعـــول
وآلك والصحب الكرام وكل من	لشرعـتك المثلى يديـــن ويعمـــل

وإذا كان الحزب حزب السماء، فإنهم إذا وصلوا مما تقدم ﴿وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ يقرأون «البردة» للبوصيري، وقد قسموها على الأسبوع، فيبدأونها يوم الجمعة، ويختمونها يوم الخميس، فأقسامها السبعة مبادئها هي هذه

1 ــ أمن تذكر جيران بذي سلم
2 ــ أستغفر الله من قول بلا عمل
3 ــ وكيف يدرك في الدنيا حقيقته
4 ــ جاءت لدعوته الأشجار ساجدة

5 ــ قل للمحاول شأواً في مدائحه

6 ــ وبت ترقى إلى أن نلت منزلة

7 ــ ومن تكن برسول الله نصرته

فبهذا تتم القصيدة عشى الخميس دائما، ويقدمون على كل ما يقرأون متن «البردة» في كل عشية عشية

يا رب صل وسلم دائما أبدا على حبيبك خير الخلق كلهم

وآله وعلى أصحابه السعدا أولي الهدى والتقى والمجد والكرم

يكررونها ثلاث مرات، ثم يفتتحون ما يقرأ ذلك النهار وهكذا، ويفتتحونها أيضا يوم الجمعة ببيت غريب عن «البردة» قبل بيت أمن تذكر، وهو هذا

الحمد لله منشيء الخلق من عدم ثم الصلاة على المختار في القِدم

يقولونه مرة، ثم يذهبون قدما، ثم كلما قرأوا هذا كل عشية يقولون هذه الأبيات

يا رب صل وسلم دائما أبدا على محمدنا والصحب والرسل

عَدَّ الحوادث أضعافا مضاعفة وكالنجوم وَعَدَّ النَّبْتَ والرمل

ما حركت عذبات القلب ريح صبا من حبه فشفت ما فيه من عِلَل

هكذا يعتنى بـ «البردة» في جميع قطر (سوس) إلى (حاحة) إلى (درعة)، تقرأ هكذا كل عشية بعد الحزب الراتب، ولعل ذلك من تأثير السادات الناصريين

ثم للمدرسة الالغية ولمن تخرج منها، عادة جارية أيضا في تجزئة «الهمزية» للبوصيري ستة أقسام فقط، فيقرأونها بعد حزب الصباح، وأقسامها

هي هده

1 ــ كيف ترقى رقيك الأنبياء

2 ــ ونحا المصطفى المدينة واشتاقت إلخ...

3 ــ ودعا للأنام إذ دهمتهم

4 ــ خبرونا أهل الكتابين إلخ...

5 ــ وعدتني إن دياره العام وجناء إلخ...

6 ــ آل بيت النبي طبتم فطاب إلخ...

فهكذا في الأيام الستة من السبت إلى الخميس، يفتتحونها من ذاك ويختتمونها في هذا، وأما يوم الجمعة فإنهم يشتغلون توا بعدما ذكرناه آنفا بالصلاة على النبي ﷺ حتى تطلع الشمس، وقراءة «الهمزية» غير شائعة إلا في من ذكرنا فقط ولهم خاصة بعدما يختتمون «البردة» كل عشية، عادة أخرى من تلاوة قصيدة رجزية عذبة الأسلوب حلوة الدعوات، خصوصا في أولها ووسطها، ولما لم تكن مشهورة ولا معلومة اشتهار «البردة» فإننا سَنَسُوقها لك كلها مع ما فيها من بعض طول، والذي عض عليها بالنواجذ أتباع طريقة مولاي أحمد رضي الله عنه، التي كان أستاذ المدرسة الالغية محمد بن عبد الله وأخوه علي بن عبد الله من رؤسائها الذين يرفعون ألويتها، وهذه هي القصيدة

بحمـــد ربي أبتـــدي دعـــائي	ومهـــربي إليـــه والتجـــائي
حمدا له به عليـــه منـــه	ولا يفـــيض الخير إلا عنـــه
وبـــالصلاة والسلام أبـــدا	على الـذي بعث للنـاس هدى
محمـد المصطفـى من خلقـه	والمجتبـى له من أهـل قربـه
والآل والصحب الكرام ما دعـا	داع بقـلب ذا اضطـرار وسعى
يا رب نسألك باسم ذاتك	وبالـــذي حواه من صفـــاتك
بالأعظـم الأفخـــم من أسمائك	وسره المكنـــون في عليـــائك

وبالذي جرت به الأفلاك … وخضعت لقدره الأملاك

وباسمك العظيم من قد قامت … به العوالم وفيه هامت

أدعوك يا حي ويا قيوم … اقض حوائجي وما أروم

وبكتابك العزيز المحكم … وسره ونوره في العالم

وبالذي سميته محمدا … من المحامد فصار أحمدا

وبالذي دعا بكل مشهد … به من الأسماء والتهجد

وبالذي دعتك رسلك وما … دعت به الأملاك في كل سما

وبعظيم الجاه خير الناس … محمد وصحبه الأكياس

بك استغثنا وبك التوسل … يا ملجأ الخلق ويا مفضل

أنت المشفع الشفيع الأعظم … أنت الوسيلة الكريم الأكرم

يا عروتي الوثقى ويا ملاذي … لدى الشدائد ويا عياذي

يا من إليه المشتكى والمفزع … عند المكارم وما يروع

العجل العجل بالاغاثة … يا من له كل العلا وراثة

بك توسلنا إلى رب الورى … يفرج الكرب الذي بنا جرى

أنت الذي قلت وقولك الكريم … توسلوا بجاهي إنه عظيم

وبخليفتك قطب الأوليا … وغوثهم طرا حزب الأصفيا

إمامنا غوث الورى التجاني … من اذعنت له أولوا العرفان

يا أحمد التجاني يا نور القلوب … أما ترى ما نحن فيه من كروب

أما ترى الضيم الذي أصابا … وأنت غوث لم تزل مجابا

بك توسلنا إلى النبي … وبكما لربنا العلي

فأنت نجله وبحر سره … ممدنا من نوره وبحره

ألست قد أعطيت ما لم يعطى … غير الصحابة فأنت المعطى

فنحمد الله على نعمائه … إذ خصنا بخير أوليائه

أنت المشفع في أهل العصر … من كل هول يختشى في الحشر

عار عليك يا ممد الخلق … من بحر أحمد حبيب الحق

أن يلحق الضيم من انتمى لكم ... أو يعتري المكروه أهل ودكم

عليك بالأعداء قد تمردوا ... قد قلدوا سيوفهم وجردوا

وصيروا الدين القويم ضحكه ... وهدموا أركانه وسمكه

إن لم نكن أهلا لأجل ظلمنا ... فحلمكم يسع سوء جرمنا

يا ربنا بأحمد التجاني ... قنا الردى وآعف عن الخسران

وانصر عصابة الهدى على العدا ... ونجنا من كل من قد اعتدى

واعف عن الذنوب يا كريم ... واصفح عن الزلات يا حليم

ونجنا في الدهر من كل فتن ... في الدين والدنيا ومن كل محن

يا ربنا بغوثك المعظم ... ألطف بنا في القدر المحتم

أيدنا بالصبر وباليقين ... وبالثبات في مقام الدين

دون تغير ولا تزلزل ... ولا تحرف ولا تبدل

بجاه أفضل الورى محمد ... صلى عليه الله دون عدد

قد انتهى الذكر بحمد الله ... ثم الصلاة والسلام الباهي

على الرسول المصطفى الأواه ... محمد محرم الملاهي

ثم على وارثه الرباني ... غوث الزمان أحمد التجاني

أفضل الأولياء بالاطلاق ... من أول الدهر إلى التلاقي

ثم على وارثه أبي الحسن ... خليفة الرحمن في كل وطن

غوث الزمان سيدي العلي ... شيخ الهدى ذي الخلق المرضي

سندنا ملاذنا عمدتنا ... سيدنا ملجأنا قدوتنا

يا رب نج جملة الأحباب ... يوم القيامة من العذاب

وانشر علينا من رضاك واحمنا ... من الرجيم واهدنا وآهد بنا

بجاه خير الخلق والتجاني ... ثم التماسيني عظيم الشان

ثم على ممد الأولياء ... أزكى صلاة دون ما انتهاء

ومن الناس أيضا من يقرأ بعد «البردة» في كل عشية «حزب البحر» للامام الشاذلي، وهو معلوم مشروح، غير أنه معلوم عند قليل من شبابنا، وأما

الغالب فلابد أن يسأل عنه بعض الكبار،(1) وقد كنت وأنا صغير في سنة 1327 هـ مجاورا في قرية (العركوب) في (إغير ملولن) لقراءة القرآن، عند الأستاذ عيسى الأكاري دائما نقرأ «حزب البحر» بعد «البردة» ولكن ذلك

---

1) لذا كان لابد لنا من دمج «حزب البحر» هذا حتى تتم به الفائدة فكما هو معلوم أنه لأبي الحسن الشاذلي رحمه الله ورضي عنه (الناشر)

وفي ذلك يقول «بسم الله الرحمن الرحيم، يا الله يا علي يا عظيم يا حليم يا عليم أنت ربي وعلمك حسبي، فنعم الرب ربي ونعم الحسب حسبي، تنصر من تشاء وأنت العزيز الرحيم، نسألك العصمة في الحركات والسكنات والكلمات والارادات والخطرات، من الظنون والشكوك والأوهام الساترة للقلوب عن مطالعة الغيوب، فقد ابتلي المومنون وزلزلوا زلزالا شديدا، وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا، فثبتنا وانصرنا وسخر لنا هذا البحر كما سخرت البحر لموسى، وسخرت النار لابراهيم، وسخرت الجبال والحديد لداوود، وسخرت الريح والشياطين والجن لسليمان، وسخر كل بحر هو لك في الأرض والسماء والملك والملكوت، وبحر الدنيا وبحر الآخرة، وسخر لنا كل شيء يا من بيده ملكوت كل شيء كٓهيٓعٓصٓ «3 مرات»، انصرنا فإنك خير الناصرين، وافتح لنا فإنك خير الفاتحين، واغفر لنا فإنك خير الغافرين وارحمنا فإنك خير الراحمين، وارزقنا فإنك خير الرازقين، واهدنا ونجنا من القوم الظالمين، وهب لنا ريحا طيبة كما هي في علمك، وانشرها علينا من خزائن رحمتك، واحملنا بها حمل الكرمات مع السلامة والعافية في الدين والدنيا والآخرة، إنك على كل شيء قدير، اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة في قلوبنا وأبداننا مع السلامة والعافية في ديننا ودنيانا، وكن لنا صاحبا في سفرنا وخليفة في أهلنا وآطمس على وجوه أعدائنا وآمسخهم على مكانتهم، فلا يستطيعون المضي ولا المجيىء إلينا، ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فألى يبصرون، ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون، يسٓ والقرآن الحكيم، إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم، تنزيل العزيز الرحيم، لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون، لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يومنون، إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الاذقان فهم مقمحون، وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون، شاهت الوجوه «ثلاثا» وعنت الوجوه للحي القيوم، وقد خاب من حمل ظلما، طسٓ حمٓ عٓسٓقٓ مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان، حمٓ «7 مرات» حمَّ الأمر وجاء النصر فعلينا لا ينصرون، حمٓ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير، بسم الله بابنا، تبارك حيطاننا، يسٓ سقفنا، كٓهيٓعٓصٓ كفايتنا، حمٓ عٓسٓقٓ حمايتنا، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم «ثلاثا» ستر العرش مسبول علينا وعين الله ناظرة إلينا بحول الله لا يقدر علينا، والله من ورائهم محيط، بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ، فالله خير حفظا، وهو أرحم الراحمين «ثلاثا» إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين «ثلاثا» حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم «ثلاثا» أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق «ثلاثا» بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم «ثلاثا»، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما».

اهـ

عادة غير مشتهرة كثيرا، فهذا في علمنا أنه يتلى بعد الحزب الراتب، ثم بعد ذلك يصلى على النبي ﷺ ثلاث مرات غالبا، بصوت معلوم معهود، ثم يدعو الامام للناس ثم يتفرقون، وكيفية الدعاء راجعها فيما كتبناه تحت عنوان (الدعاء)(1)

ـ 8 ـ كيف تلاوة القرآن

أنزل الله القرآن شفاء لما في الصدور، وعسلا مصفى في الأذواق، ونغمات موسيقية لها رناتها في الأسماع، فتعبدنا بتلاوته، وأمرنا أن ننصت إذا كان يتلى لتحصل لنا تلك اللذات التي تتكهرب بها الأعضاء، فتطير إلى العالم العلوي، وذلك هو المطلوب وحده بالقرآن، ثم ان النبي ﷺ قال ﴿ليس منا من لم يتغن بالقرآن﴾(2)، وقال وقد استمع الى أبي موسى الأشعري وهو يتلو ﴿لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود﴾، وقال أبو موسى بعد (لو علمت يا رسول الله أنك تستمع إلي لحبرته لك تحبيرا)(3)، وهكذا أمرنا بترتيل القرآن ترتيلا، والترتيل هو التجويد الذي يعطى به كل حرف حقه من التفخيم والترقيق والمد وقدره، كما قدره أرباب الفن، ونهينا عن هَذِّ القرآن، وأن نتخذه هزءا ولعبا، ولكن هل وقفنا عند ما أمرنا به، وانتهينا عما نهينا عنه ؟

كان القراء قبل الامام الهبطي يقف كل واحد منهم حيث انتهى به النفس أو حيث يتم المعنى، فجاء الامام الهبطي فراعى مقاطع الآي ومنتهى

---

1) لم نعثر عليه ضمن هذه المخطوطة، ولعل المؤلف رحمه الله اكتفى بما كان قد كتبه قبل في «الحزب الراتب» (الناشر)

2) أخرجه البخاري عن أبي هريرة (الناشر)

3) والحديث بكامله قول النبي ﷺ «لقد رأيتني وأنا أسمع قراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارا من مزامير داود، ورد أبو موسى لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرا». أخرجه البخاري ومسلم (الناشر)

المعنى، فوضع وقفه المشهور، فصادف في كله إلا في بعض آيات قليلة، سلك فيها مسالك ضعيفة اتباعا لبعض التفاسير، ثم إن وقف الهبطي مع ذلك لم يجمع عليه المغاربة، بل منهم من قاومه كالامام أحمد الصوابي أستاذ الحضيكي، فقد قام وقعد في ذلك، ورأى أن القراء لا يتمشون بسببه على السنن المأثور في المد عند أرباب الفن، ولكن صرخته ذهبت في واد، وإن كان أهل (الزاوية الماسية) التي مضى فيها، لا يزالون يتنكبون الوقف إلى الآن، أذكر أنني كنت صاحبت والدي رحمه الله، في أول رمضان 1328 هـ فبتنا في تلك الزاوية وأنا لا أزال أحفظ القرآن في مسجد من (هشتوكة)، وقد صاحبني والدي وإخوتي منه إلى البلد، فحين كنا نقرأ الحزب ساروا فيه قدما بلا وقف، وكل من توقف به النفس سكت، ثم يصل بعد من معه، فجاءني ذلك الذي لم آلفه عجبا، ولم أقف على السبب إلا بعد أن قرأت ترجمة الصوابي رحمه الله ورضي عنه ذلك، والأمر لما يصل إلى هذه الحالة التي فيها قراؤنا اليوم

إن أشد بأهل بلادنا السوسية في كل شيء شيء، وادعى أن لهم في كل مكرمة درجة تساوي غيرهم بـ (المغرب) إن لم تفقها، فإنني إزاء تلاوة القرآن لا مناص لي من أن أعلن أنهم مع إحسان التلاوة كالضب والنون لم يتيسر أن يتلاقيا إلى الآن، فالتجويد الذي للفلاليين والجبليين بأحواز (فاس)، وبعض أهل المدن من المجهول عند قرائنا السوسيين جهالة ربما تكون عند بعضهم مركبة، تراهم في الحزب الراتب، وعند كل ما يتلى القرآن تال يَهُذُّونَ القرآن هَذّاً(1) مع السرعة والاغذاذ، إلا من بعض أناس وقليل ما هم، قد حكى لي الأستاذ ابرهيم بن أحمد بن الحاج صالح عن أبيه عن جده أنه حين حج رأى في بعض ديار (المشرق)، إنسانا يكتب عليه تلميذ وهو يفتيه من مصحف مفتوح أمامه، فقال له لم لا تفتيه من صدرك ؟ فقال له لأني لم أحفظ القرآن، فقال له الحاكي لكنني أحفظه كله عن ظهر قلب، فافتتح يقرأ

---

1) هَذ الشيء هَذّا وهذذا . قطعه سريعا، وهَذ القرآن أسرع في تلاوته. (الناشر)

بتلك القراءة المسرعة التي لا تعرف قدر المد ولا تبيين الحروف ولا الترتيل، فجرى بملء فيه نفسا واحدا، فإذا بالآخر طلب منه السكوت، فقال له أهذا هو الحفظ التي تزعمه، فالجهل أولى من حفظك هذا.

تلك حكاية حقيقية كشفت عما في تلك القراءة، على أن السوسيين إذا كانوا غالبا لا يعرفون الترتيل، فإن مخارج الحروف والاعجام من أفواههم على غاية الاتقان، على عكس أهل المدن وأحواز (فاس)، و(مراكش)، فإن ذلك عندهم غير معهود، خصوصا الاعجام، فإن بعضهم أبعد الناس عنه، فرضي الله عن أستاذنا شيخ الاسلام أبي شعيب الدكالي الذي حكى لنا في درس الشيخ خليل بعد عصر يوم في سنة 1342هـ، ونحن في (المسجد اليوسفي بمراكش) في معرض عدم اعتناء المغاربة بالاعجام، أنه كان مرة يلقى درسا من «كامل المبرد»، في (الجامع الأزهر)، فجاءت كلمة جذوة، فنطق بها بالدال المهملة، وقال إن هذه اللفظة في القرآن، وقال فقال لي أعمى قاعد إزائي، لا أيها الشيخ ليست هذه اللفظة في القرآن، قال فقلت له أين أنت من قول الله «لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون»(1) قال فقال لي هذه جذوة بالذال المعجمة وأنت تنطق بها مهملة، وهذه غير تلك، قال فصرت من ذلك النهار أعتني بالاعجام، حتى تمرن عليه لساني، هذا ما حكاه أستاذنا وهو شاهد واضح لما نقول

ثم لو كان الترتيل وحده هو الذي ينقص السوسيين أصحابنا هؤلاء، لكان غلطة من ذي مروءة عثر، ولكن الأدهى والأمر هذه القراءة المحدثة التي يسمونها ﴿تَحْزَّابْتْ﴾، وهي بلا شك حرام، طالما قام علماؤنا كالأدوزيين والجشتيميين ينادون في الأسواق والمواسم بحرمة القراءة بها، ولكنهم بكل أسف لا يصادفون إلا آذانا صما وقلوبا غلفا، فلا تسمع من مجامع الطلبة إلا

1) الآية 29 سورة القصص

الصياح بها صياحا ينقطع به نياط القرآن الكريم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، خصوصا ما كان يقع في المواسم السنوية، كموسم (تازروالت) و(تاعلات)، وسيدي محمد بن عبد الله في ساحل (بوعمرانة) ومواسم (هشتوكة)، حيث تجتمع مئات من الطلبة في مسجد المكان الذي أقيم فيه الموسم، فينعزل طلبة كل مدرسة على حدة، فيتناوبون قراءة الأرباع بتحزابت، والآخرون يتربصون بهم أن يسقطوا أو يتلفوا كلمة، أو يغلطوا في وقف، أو يعثروا أدنى عثرة، وويل ويل لمن سقط جدهم هناك، فيرون من السخرية والاستهزاء والتصفيق عليهم والتنديد، ما لا ينسوه أبد الآبدين، وربما يعمد بعض المُجَّان إلى مسدس، فيطلق منه عند كل وقف طلقة، وذلك في وسط المسجد وهو مكتظ بالطلبة، ولكن الطلبة كما يزعم لهم الزاعمون مغفور لهم كلما اجترموه كيفما كان، وهذه عادتهم في المواسم، خصوصا المواسم العظمى كالتي ذكرناها، مع تداول إنشاد الأشعار أيضا، فترى القراء الأقحاح يتناوبون أبيات «جيم عددهم» «ثلاثة مكملا» وطلبة مدارس العلم يتناوبون أبياتا عربية صحيحة المعنى، يعدونها بالحفظ والاستظهار، وقد قسموا أنواعها بينهم، فيحفظ زيد مثلا من بحر الطويل مائة بيت أوها كلها «ألا ليت شعري» وعمرو مائة أخرى مفتتحة «بعليكم سلام الله»، وهكذا حتى يعدوا الألوف، بحيث إذا افتتح من يجادبونهم حبل المنافسة من إحدى الجماعات التي تجتمع هناك من طلبة المدارس المتفرقة حول واحد من هذا النوع، يجدون أنفسهم قد هيأوه قبل، وقد يؤدى بين طلبة بعض مدارس هذه المجاذبة حتى تخرج إلى التهاجي، فينشد هؤلاء ويرد عليهم آخرون حتى يسقط العاجزون، وقد حكي لنا عن بعض علماء عظام بعد أن مروا بهذا الدور، أنهم إن كانوا باقين في ذلك الدور ينشئون في الحين بديهة أبياتا يلقيها أصحابهم على الآخرين، كجلمود صخر حطه السيل من عل، وكل ذلك الانشاد بصيغ مختلفة معلومة عندهم، نحتاج إلى فن الموسيقى إذا أردنا أن نصورها للقارىء

ـ 9 ـ كلمة عن ماضي تعليم القرآن وحاضره

قد شاهدت مع هذه الهمة التي تبذل في بلادنا حول تعليم القرآن، وهذا الاجتهاد العظيم الذي قاموا به في بثه، ولكن هذه القيامة كلها قد فترت حرارتها منذ 1346هـ، فخلت المدارس من هذه النزعة، وفترت همم الطلبة عن هذه المجامع، وقل تعلم القرآن وخوى نجمه، واقفرت مدارسه، والأمر لا يزداد إلا شدة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، بعدما كانت في (سوس) قراءة القرآن، والاعتناء بها وصلت مبلغا عظيما، قد يكذبه من سيأتي بعدنا إن لم نصوره له نحن في هذا العصر أحسن تصوير، على أن تصوير ذلك على ما هو عليه يحتاج إلى فراغ كبير وتوجه تام له وحده، وليس لنا نحن الآن ذلك، ولذلك لا يمكن لنا إلا أن نقول على لسان تاريخ هذا العصر، إن قراءة القرآن بـ (سوس) على قسمين قسم ابتدائي، وهو المنبث في جميع مساجد القرى، ويمكن أن نحكم حكما لا استئناف وراءه إذا قلنا أن ثمانين في المائة من مساجد القرى كانت كلها قائمة بهذا القسم التعليمي الابتدائي، وعشرين في المائة هي التي ربما يفتر فيها التُعليم بعض السنين، على أنني أخاف أنني أجحفت حيث أخرجت العشرين، في حين أن الأقرب أن أخرج العشرة أو ما دونها، ولكنني بنيت في حكمي على الاحتياط، وأما القسم الثانوي من القرآن، فتقوم به مدارس أسست لذلك خاصة، كمدرسة (فم الجمعة بآيت بعمرانة) ومدرسة (الفهم بتزروالت) ومدرسة (سيدي همو أولحسن بالأخصاص) ومدارس (هشتوكة) ومدرسة (المزار) من قبيلة (جسيمة) ومدرسة (البعرير) التي تخرج منها في القرون الماضية سيدي زوين، الشهير الذي أسس بعد ذلك مدرسته، التي لا تزال قائمة بـ (الحوز) إلى الآن، ومدرسة (إكْض)، الذي كان من أساتذتها الأستاذ الشهير محمد بن ابرهيم أعْجْلِيْ، فهذه المدارس وأمثالها الكثيرة، لا تشتغل إلا بإتمام الدراسة من الذين شدوا في القرآن قبل ذلك، ومنها من تعتني بالقراءات السبع، ومنها من يعتني ببعضها .

فهذه الكلمة المختصرة كافية الآن، وإنما أحب أن أختم هذا البحث بحكاية توثر، تبين لك أن (سوس) هو منتجع أهل الجنوب في أخذ القرآن، اشتكى طلبة (حاحة) على القائد الشهير الحاج عبل الحاحي، فقالوا له إن الطلبة السوسيين يتكاثرون علينا في نزهتنا التي نقيمها رأس كل سنة، فنحب منك أن تقطعهم عنا، فصار القائد يسائلهم عن أحوالهم، حتى بلغ بهم السؤال عن الذين تعلموا منهم، فصار كل واحد يقول أخذت عن فلان السوسي بـ (سوس)، والآخر يقول ذلك، حتى قالوه عن آخرهم، فقال لهم حينئذ السوسيون هم أشياخكم ثم تعقونهم، لا والله لآمر بإخراج واحد منهم في نزهتكم، فخرجوا يتعثرون في أذيال الخيبة

ـ 10 ـ نـزهـة الطلبـة السنويـة

رحمك الله يا مولاي الرشيد، وطيب عظامك تحت الثرى، فقد والله رفعت فوقنا نحن الطلبة راية خفاقة، ترفرف علينا أيان كنا حواضر وبوادي، وجعلت لنا في عصرك وبعد عصرك ما نمر به على الجهلة شم العرانين رافعي الرؤوس، كنت رحمك الله أسست لنا هذه النزهة بسبب إعانتنا لك، حيث أَفَّفْنا على ذلك الجريح الاسرائيلي، وقد صرعته بقوة جأشك، وعضلاتك الصلبة حمية على ما كان انتهكه من الحرم، وتعداه من الحد الذي حُدَّ له ولذويه، فعرفت لنا هذه اليد الصغيرة، فبوأتنا مقاما نطل من عليائه على من تحتنا منذ ثلاثة قرون أو نحوها

هذه دول العصر الحديث التي لها ما لها في تنشيط العلم وذويه، هل جال قط في أدمغة السياسيين أن ينشطوا أبناء المدارس بنصبهم ولو يوما واحدا على منصة الحكم، حقا كان ذلك أو باطلا...؟ حقيقيا كان ذلك أو مموها

النزهة السنوية عامة في جميع أنحاء (المغرب) حاضرته وباديته، فالحاضرة يكون فيها ذلك رسميا في (فاس) و(مراكش)، ويكون لذلك من الأبهة واعتناء

الحكومة ما يجعل ذلك حفلة شعبية يشارك فيها كل الأهالي من هاتين المدينتين، بحيث ترى فساطيط الأغنياء والتجار في ضفتي (وادي الجواهر) بـ (فاس) ممتدة من سور (فاس الجديدة) إلى أن تتجاوز أكثر من خمس كيلومتر كما يحكى، وبحيث يكون في (مراكش) بسيط الحارثي إلى المنارة إلى سفح جبل جليز، كله يزخر بمن يحضرون من الأهالي منبتين بقبابهم هنا وهناك، حكى لي أستاذي سيدي اليزيد الروداني رحمه الله، عن تلك النزهة التي حضرها أيام المرحوم مولاي الحسن، شيئا غريبا عنا نحن الذين وقع لنا مثل ما قال المتنبي

جاء الزمان بنوه في شبيبته فحمدوا وأتيناه على هرم

فكان يقول إننا نمكث هناك دائما أكثر من الشهر، وجميع المؤن قامت بها الحكومة، والنزهة عندنا فيما يفضل من الدراهم لا فيما ننفقه، والمرق واللحوم التي تبقى كل عشية إنما نسكبها في الجداول، التي تتدفق بين أيدينا مارة إلى البساتين التي في شرق جليز، وكنا نرجع دائما في كل نزهة بعشرات من الريالات لكل واحد، ومن ذلك يكتسى ضعفاء الغرباء من الطلبة، كسوة تكفيهم إلى أن تدور النزهة الأخرى، وكان السلطان إذا صادفته النزهة بـ (مراكش) يهدي للطلبة هو وجميع وزرائه وأمنائه وحاشيته، فوق العادة ما تمتد به أيام النزهة إلى شهرين، ثم حكى عن سنة كان فيها أحد سفراء الدولة العثمانية بـ (مراكش)، فبعد أن أهدى السلطان وكل من معه على العادة المعتادة في ذلك الوقت، جاء السفير في كبكبة من أصحابه أخيرا فأهدى مائة لويز، فاتصل الخبر بالمرجع الأعلى، فأمر أن يعير كل من معه هدايا جديدة للطلبة، فيخرج كل وزير أو أمين أو كبير في الحكومة، أو من له منصب فيها يوما خاصا وحده في موكب كبير فيهدي على حدة، فتتابعت علينا الأيام بالهدايا، والأوامر أصدرت إلى الطلبة أن لا يتفرقوا وإن تطاول بهم الشهران، فجلسنا حتى وقع الملل وضجر الطلبة، فصاروا ينسلون، ولم يأت يوم الاختتام حتى قل من هناك .

هكذا كان أهل ذلك العصر، تدر عليهم النعم حتى يسأموها، وأما طلبة هاتين الحاضرتين اليوم فقد وقعوا في العكس، فأول ما يصنعون أن يجمعوا من بينهم ما يعتمدون عليه في نصف الشهر الذي يمكثونه اليوم، ثم تمدهم الحكومة بما لا يسمن ولا يغني من جوع، بحيث لا يقوم بهم أكثر من ليلة أو ليلتين، ثم ترى الطلبة يتكففون من عند العمال والتجار برسائل يكتبونها إليهم، حتى أن أهل المروءة من الطلبة ينقطع عن تلك الحفلة اليوم، ولو أننا نرجو كل الرجاء من حكومة جلالة سلطاننا، الذي نحبه من أعماق صدورنا، ومن معاونيه من رجال الحماية أن يستدركوا هذه الحالة التي تسوِّد وجه الطلبة، لكان بعض العقلاء يميل إلى أن قطعها أولى من بقائها، ولكنها رمز ينبغي أن يكون خالدا يدل على يد الرشيد وخلفائه من آساد ملوك الدولة العلوية المجيدة

تلك نزهة الحواضر (فاس) و (مراكش)، وتكون (الرباط) و (سلا) و (مكناس) من التابعين لها بإحسان، وأما البوادي فنزهها بدوية، تتكيف في كل ناحية بطباع أهلها، فهناك طلبة (الرحامنة) و (حمر) و (الشياظمة) و (دكالة) و (الشاوية) و (السراغنة) و (تادلا) يقيم كل مع أفراد قبيلته نزهتهم على حدة، وكثيرا ما ينفرد طلبة كل فخد في القبيلة عن غيرهم، فيخرجون ويدورون قرية قرية حتى يستوفوا قراهم، وهم يعمرون أوقاتهم بتلاوة القرآن إن غلب عليهم أهل المروءة والجد، وإلا فإن هناك خيلا تتسابق، وأهدافا يترامونها وألعابا مختلفة، والقبيلة كلها احترام وإجلال وإكبار لحفظة القرآن الكريم، وكذلك طلبة قبائل (جبالة) و (الريف) فإنها تسلك هذا المسلك بعينه

وأما قبائلنا السوسية وهي المقصودة، وإليها يساق الحديث، فنزهة بعض طلبتها أعلى من نزه كثير من تلك البوادي المتقدمة، وعندي من الحجج التي ستمر بك ما أعلن به أنها أيضا أعلى من نزهة كل الحواضر، حتى (فاس) و (مراكش)، وإليك البيان والبرهان التي يأتي به من كان من الصادقين .

قبائل (سوس) فرقتان فرقة في الجبال وفرقة في السهول، فأما التي في الجبال وما إليها فـ (إيلالن) و (ايت صواب) و (ايت حامد) و (أمّلْن) و (سملالة) و (رسموكة) و (بعقيلة) و (مجاط) و (إفران) و (الأخصاص) و (بعمرانة)، وما يتخللها من قبائل أخرى، وأما التي في السهول فـ (ايت بْرَايم) و (أيت أوكْلو) و (جرّارة) و(المْعْذر) و (ماسة) و (هشتوكة) و (هوارة)، وقبائل (راس الوادي) و (سكتانة)، والتي تتاخمها عن شمال من (حاحة) و(متوكّة) و (إداو تنان) و (إداو زكي) و (إداو زال) و (إدامحمود)، وما إليها من التي تسكن في سفوح الأطلس وبعضها فيه بنفسه، فأما الفرقة الأولى التي تسكن في جبال (جزولة) فهي من قبائل (سوس) يزخر غالبها بالطلبة، فكان لهم شأن أي شأن، فإذا جاءت أيام النزهة فإن رؤساء القبائل يطوون الرؤوس تحت الأجنحة، حقيقة لا مجازا، فيكون الطلبة هم الذين يديرون دفة السياسة في القبيلة في أيام النزهة كلها، فهم الذين يصدرون الأحكام ويبرمون وينقضون ويفصلون الدعاوي، ويواخذون من يواخذون ويسامحون من يسامحون، لا متعقب لأحكامهم ولا رَادَّ لقضائهم، ولا مستأنف لما يعلنون مما يرون، وهم ينتقلون من قرية إلى قرية، والناس يقومون بضيافتهم أحسن قيام، بكل ما يعلمون أنهم يكرمون به حملة القرآن الكريم، والهدايا من أفراد القبيلة تقدم من غير طلب، والنساء يوالين مما تحت أيديهن عليهم، تطلبا للدعوات واستدرارا للبركات، وقد جرب عندهن وعند غيرهم أن الدعاء في مجمع الطلبة مستجاب، ومن جرب واعتقد فلا يرده عن اعتقاده راد، هذا والطلبة يرأسهم كبير منهم من أهل المروءة والحسب والنسب، ممن أوتي بسطة في العلم والجسم، ويكون بالرئاسة أجدر بأخلاقه وعقله قبل أن يقلدها(1)، ثم أنهم طبعا يكونون على فرق، فأهل الاسنان والذين اعتنقوا بعض الطرق يتحاشون إلى الاشتغال بتلاوة القرآن على كيفية «تحزّابت»، لا يفترون عنها إلا في

1) يطلق عليه غالبا سلطان الطلبة وهناك كثير من طلبة سوس يحملون هذا اللقب (الناشر)

أوقات الاستراحة، وأماالشبان الذين يطفرون مرحا ونشاطا، فإنهم يسلكون كل مسلك، ويطرقون كل باب، فتراهم في ملعب «أحواش» مستديرين، يشطحون ويرقصون ويصفقون، وزغاريت العذارى ترن من السطوح، وطاقات «الحبق» تساقط على عمائمهم البيضاء، وهم يريدون أن يمثلوا دور العامة، الذين كانت تلك الألعاب هجيراهم حتى أتقنوها واستظهروا أناشيدها، فترى شببة الطلبة يترنحون في الملعب، وهم ضحكة للناظرين، وهل يقصدون هم أنفسهم إلا ذلك، ثم إذا احتدم الملعب يقوم إليه رجاله من العامة، فإذا بأحواش على أيدي عارفيه قد بلغت أصواته عنان السماء، والدفوف والمزامير تقيم الملعب وتقعده، ثم إذا اكتفى الطلبة من اللعب، يدعون لأولئك العامة بما يتمنون، ولا أدري من يؤمن على دعائهم إذ ذاك في ذلك الميدان، أأبو مرة أم الملائكة ؟ التي لا تفارق الانسان في أي محل كان، ذلك في الليالي، وأما في الأصائل فإن الخيول التي يجول الطلبة في صهواتها تتطارد في الميدان أو تسطر حلبات متتالية وفرقعة الطلقات تصدع الآذان وترجرج الأدمغة، يدوم ذلك إلى الغروب

هكذا تمضي أيام نزهة طلبة جبالنا هذه، وهم رؤساء حقيقيون وأقطاب القبيلة، وربما يشذ بعض ذعار الطلبة فيرتكب من الافساد في البساتين والجنات والحقول ما كان يستحق عليه من أصحابها إزهاق روحه، لو لم يكن من الطلبة أصحاب السلطة ذلك اليوم، كنت سنوات 1332هـ إلى 1336هـ مجاورا في مدرسة (تانكرت) بـ (إفران) فكانت نزهة كل سنة تمر هكذا، فكنت أنا من الشباب المرح، فلا تسل عما أجرمنا، والله هو المسؤول أن يسبل على ذلك ذيل الغفران

فإن يك عامر قد قال جهلا　　فان مطية الجهل الشباب

وأما قبائل السهول فإن هذه السلطة التامة قلما يتمكن منها طلبة نزهتهم، لأنها غالبا تكون تحت إيالة الحكومة، وهل تسلم الحكومة من سلطتها

ولو ساعة واحدة ؟ على أن الاعتناء والاحتفال والتبجيل في كل تلك القبائل للطلبة، سائر على وتيرة واحدة، وهناك من بعض القبائل التي يقل فيها الطلبة من لا تقام فيها هذه النزهة، فمن بينها قبيلتنا نحن، فإنها لضعف أهلها ولاستخذائهم دائما أمام قوة جيرانهم، ولقلة القراء فيها إلا في الزمن الأخير، ما كانوا يعرفونها، مع أن القبائل التي تجاورهم كلها تقام فيها

هذه الكلمة هي آخر ما تيسر كتبه حول مبحث القرآن، فلله الحمد أولا وآخرا.

الباب الثاني :

مبحث العلوم

ويتضمن

_ مقدمة
1 _ أول مدرسة معروفة في سوس
2 _ المدارس السوسية اليوم
3 _ كيف تشاد المدارس ؟ وبأي شيء يقوم أودها
4 _ العلوم التي تدرس في القطر السوسي
5 _ كيفية الدراسة العلمية

سوس قسم من أقسام الشرق الاسلامي الذي ازدهرت فيه العلوم الانسانية، التي يعرفها الشرقيون قاطبة في القرون الوسطى، فقد كانت هذه العلوم كلها تسمى دينية، لأنها ما انتشرت إلا بواسطة الدين، وما خدموها المسلمون إلا ليتوصلوا بسببها إلى تفهم الدين، وإعلاء كلمته في كل شيء، ثم إن كلمة العلم وكلمة الدين كلاهما كلمة مطاطة، فلك أن تمدها ما شئت حتى تملأ فراغا واسعا قلما تكون له نهاية، ولك أن تلمها وتختصرها في نقطة ضيقة، ودائرة تكون ككفة الحابل أو أضيق، إذا فهمت هذا حق الفهم، وأدركت ما أرمي إليه، وعرفت أن هذه العلوم إنما قامت بأثر الدين فقط، فتعال نجول معا في فهم الدين أولا لندرك تأثيره في إحياء العلم وإماتته، وقصدي أن نجول في مدلولهما عند الناس، ترمي بنظرك إلى رجلين كلاهما مخلص في دينه يضحي فيه بنفسه، ويرضى أن تسيل نفسه على الاسلات ذودا عن حياضه، فتجد أحدهما لا يشتغل بعد ان يؤدي فرائضه إلا بتتبع شذرات العلوم، وكل فائدة حصل عليها يعتقد بينه وبين نفسه أنه يتقرب إلى الله بتفهمها، ويقيدها بالكتابة لئلا تنفلت، فتراه يجول في اللغة والنحو والفقه والأصول والحديث والتفسير، وعلم الجبر والهيأة وعلمُ الميكانيك والتاريخ، لا يفرق بين قديمه وحديثه، ولا بين ما كتب على أيدي اليونان والرومان والقرطاجيين، وقدماء المصريين والهنود والصينيين، ولا بين ما خلفه أهل الكتاب من علماء رومة ومداره القسطنطينية وأحبار فلسطين ولا ما ألفه مؤرخو المسلمين من ابن جرير والنجاري والمسعودي، والاصفهاني وابن بشكوال وابن العذارى وابن خلدون وابن الأثير وابن كثير وابن حجر والسيوطي والشعراني وابن تيمية وابن القيم وإمام الحرمين وعبد القادر الفاسي، فتراه يطالع كل تآليف تلك العلوم بشغف زائد، ونهمة لا تشبع، ويتبع كل ما يمكن أن يزيد به حلقة في تلك السلسلة العلمية العالمية، وهو في كل ذلك يوقن إيقانا جازما أن لا فرق بين كل العلوم سواء الاسلامية وغيرها، وأن الكل في نظره إسلامي ديني، لأن الاسلام دين عالمي أعلى شأن العلم المطلق، وما كان ليتخذ الاشتغال بأي علم هزءا، فضلا

عن أن يكون ذنبا يحاسب عليه المشتغل به، هكذا يكون هذا الرجل، وهكذا يفهم الدين، ولا يفرق بين الاشتغال بالتفسير والحديث، وبين الاشتغال باللغة والنحو والتاريخ، بل يعلم أن الناس أصناف وأذواق، فليتجه كل واحد إلى الجهة التي حيث إليه، وليخدمها بصدق وإخلاص، فإنه يوجر على ذلك، وإن كان العلم الذي يتعلمه علم السحر على نية دفع أذاه عن المسحورين، هكذا هذا الرجل، وأما الرجل الآخر فإنك تراه ضيق العطن، تكفيه نقطة عن كل بحار العالم، وتشبعه حبة، فيتخم بها تخمة يبيت بها يتقلى على فراشه الوثير، ثم إن كان له بصيص من التصوف الكاذب فإنه ينبذ كل المعارف هذه، ويقول إن ذلك غرور في غرور وهباء في هباء، ويستدل عليه بآية ﴿وماخلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾، والعبادة المعلومة عنده هي أن تنحاش إلى زاوية فتقبل على مد الاسم الأعظم الله الله، وما سوى ذلك ضلال في ضلال، ثم إن كنت ممن لا يمكن له أن تحاجَّه، كأن تكون يده أعلى من يدك، أو تستحيي منه، أو تخاف أن تلاجه، حتى تقعا فيما لا تحمده عقباه، فإنك ستسمع منه ما لو كتب الآن فقرأه القارئون وهو حاضر، لانتهبوه بأعينهم قبل أن يسلقوه بألسنة من اللوم حداد، هذا وفي كل ذلك لا يقول إلا ما يعرف، ولكن الجاهل بالشيء الحامل على متعاطيه لا أخال إلا أنه في صوب عظيم، وذنب كبير.

هذان رجلان القينا عليهما هذه النظرة القصيرة، فلا شك أن أمثال الأول إذا كثروا في عصر من الأعصر، فإن هممهم هي التي تحيي العلوم بأنواعها، وترفع لها رايات خفاقة فيسعد بهم الجيل، وتعلو بهم كلمة الأمة وتحلق بمدارك أبنائها ونشاطهم في السماوات العليا، فالمدارس تشاد، والطلبة يحترمون، والعلماء متبوعون، والتآليف تؤلف، والأسئلة والأجوبة تصدر وترد، والباحث حول المشكلات ثار نقعها، حتى تبلج الحق لكل ذي عينين، وإذا كان أمثال الرجل الثاني كثيرون في عصر من الأعصر، ويدهم هي العليا، وكلمتهم هي التي تؤسس وتقوض، وآراءهم هي المقاييس التي يقيس بها الناس

آراءهم الأخرى، فلا تسل عن جهل يطم على العباد، وجهل يسود في البلاد حتى تكون البقية الباقية من أمثال الرجل الأول مسترذلين مدفوعين عن الأبواب، معدودين من سقط المتاع، فيطوون أجنحة علومهم الخفاقة وقلوبهم تتميز غيظا، ويتنكبون المحافل التي يتصدرها أمثال هذا الرجل الثاني، لئلا يكونوا ضحكة وهم حاضرون كما كونوها وهم غائبون، فمتى وجد من أولائك أغراض تخطته المنون، فهم متى اتفق أن يجمعهم وحدهم مجمع، فإنهم فيما بينهم ينشدون بلسان حالهم وبلسان مقالهم

هذا جزاء امرء أقرانـه درجـوا   من قبله فتمنى فسحة الأجل

وكثيرا ما أسمع البيت المشهور «والجاهلون لأهل العلم أعداء» لكنني لم أذق معناه حق الذوق إلا في هذه الغربة(1) في بلد كثر فيه أمثال هذا الرجل الثاني، وانغمر فيه بقايا من أمثال ذلك الأول، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

هكذا علمنا أن العلم لا يحيا بنفسه، وإنما يحيا بأسباب ويموت بأسباب، وحجة من يقتله أو من يحييه يستمدا لها معا من الدين فيما يزعمان، واحدهما بلا شك في ضلال مبيـن.

إذا علمت الآن أن علمة الدين يتخذها كلا هذين برهانا وحجة في يده، فلنعلم الآن أن هذا العلم الاسلامي كان مزدهرا في الزمن الذي كان فيه الدين مفهوما على حقيقته، وسبب ازدهاره هو الدين، ثم كان مصوحا في الزمن الذي لبس فيه الدين مقلوبا، والجاهلون يحسبونه هو الدين الاسلامي بنفسه، فكان سبب اضمحلاله أيضا الدين، ولكنه الدين المقلوب.

هذه كلمة كتبتها كالمقدمة لهذا الباب، وقد بعثها مني باعث خاص، فكتبتها وأنا متوتر الأعصاب، أودعت فيها ما جال في ذهني إذ ذاك، ولا بأس أن نتركها على ما هي عليه، فلنعط العنان إلى المقصود، والمقاصد التي سنتكلم

---

1) يعني بذلك رحمه الله منفاه ببلدته (إلغ) حيث ألف فيها مؤلفاته (الناشر) .

حولها هي هذه

1 — أول مدرسة معروفة في سوس.

2 — المدارس السوسية اليوم.

3 — كيف تشاد المدارس ؟ وبأي شيء يقوم أودها؟

4 — العلوم التي تدرس في القطر السوسي.

5 — كيف الدراسة العلمية؟

1 ـ أول مدرسة معروفة في سوس

لا أستحضر الآن أنني رأيت ذكر مدرسة بسوس في كتب التاريخ التي مرت بين عيني قبل المدرسة ﴿الوڭاڭية﴾ بـ «أڭلو»، التي تخرج منها عبد الله بن ياسين التمنارتي، وكانت تسمى (رباطا)، والمنقطعون إليها يسمون (المرابطين)، ومن هناك اقتبس ابن ياسين هذا الاسم، الذي أطلقه على الصحراويين الذين أووا معه إلى الجزيرة الصغيرة في (وادي النيجر)، وليس هو الذي أطلقه بادىء بدء، ثم نسبت الدولة كلها إلى هؤلاء، فيقال فيها (الدولة المرابطية)، وعلى ذلك الاسم ركب إسم مؤلف الصيرفي المسمى « السنية في الدولة المرابطية»(1) وإنني رأيت أيضا أن ابن ياسين بعدما انتصر انتصاراته الأولى في الصحراء، أخذ من خمس الغنائم قسطا فأرسله إلى فقهاء (جزولة)، فمن هم هؤلاء الفقهاء ؟ أيقصد بهم وجاج بن زلوا ومن إليه في مدرسته، ومن تخرج به من تلاميذه، أو هناك علماء آخرون شادوا للعلم أمكنة، قبل أن يرجع وجاج من عند أستاذه أبي عمران الفاسي ؟ لا أدري، ولا أخال غيري يدري الجواب عن هذه النقطة، لانطماس التاريخ

1) لعله يقصد «الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية» لأبي بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري الغرناطي المعروف بابن الصيرفي كاتب الأمير تاشفين بن علي توفي 557 هـ. راجع مجلة كلية الآداب عدد 7/ 191 (الناشر)

المفصل لحواضر (المغرب)، قبل أن يقوم المرابطون، فضلا عن بوادية المتنائية كـ (سوس)، وإن كان القياس والنظر يعطي وجود مدارس ورابطات للعلم، قبل وجاج غير بعيد، لكن العلم الحقيقي عند ربك.

2 ـ المدارس السوسية اليوم

أظن أنني وإن تتبعت هذه المدارس جهدي لا يمكن لي أن أستقصيها، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، وإنما ينبغي أن نذكر أن (سوس) مشهور بالمدارس من القرن السابع فالثامن، وهلم جرا إلى الآن، وكثيرا ما أقول ان الدولة التي اعتنت بالبادية إعتناء تاما، فأقامت لأهله دعائم الدين، وأسست لهم مراكزه وحملتهم على إعلاء شعائر الاسلام، هي (الدولة اللمتونية) المجيدة، ثم تبعتها في ذلك (الموحدية)، وإن كانت هذه زاد عصرها بكثرة المدارس وازدهار العلوم، فقد رأيت كتاب «مفاخر البربر» وفي «رحلة العبدري» وفي كتاب لابن قنفد القسمنطيني ما يدل على أن (حاحة) كانت تزخر بالعلماء، وما ظنك بقبيلة فيها أمثال العبدري وأولاده وإخوته، الذين استجاز لهم في رحلته سنة 688هـ وأمثال البوزكريين ومن إليهم من العلماء الذين يحملون راية التصوف بيد، وراية العلم باليد الأخرى، أفتظن أن (حاحة) تكون هكذا ؟ وما يكون لجبال (جزولة) من ذلك الحظ الأوفر، مع أنك رأيت في أول القرن الخامس عصر وجاج ما رأيته من فقهاء من تلك الجبال يذكرون، والجزوليون دائما في كل عصر سباقون إلى الغايات، ولكن مع كل ذلك إنما هذه فروض، ثم في القرن التاسع اشتهر الحامديون والكراميون بالعلوم، والكراميون هؤلاء من حفدة ابن العربي المعافري، وكانوا ممن أفلتوا و(الأندلس) يطوقها فرناند بجيوشه، و(غرناطة) تلفظ نفسها الأخير[1]، أفلتوا هم مع حفدة لابن رشد أيضا، ولا يزالوا بـ (إداكوكار) إلى الآن، ومعهم أناس آخرون يسمون (أيت أغرابو)، أي أصحاب الزورق، لأنهم ركبوه في بعض سواحل (الأندلس) فنجوا به إلى

سواحل (المغرب)، فسكنوا بهذه الجبال، ولا يزالون معلومين بذلك إلى الآن، ثم في القرن العاشر كان الحسن التملي تلميذ ابن غازي، ومحمد بن إبراهيم التمنارتي، فكانت مدرسة (تمنارت) شهيرة بالعلوم تشد إليها الرحال، وقد تخرج منها عشرات، وكذلك عاصره كثيرون ممن لم أستحضرهم الآن، ويكفي من وفرة المدارس والعلماء والكتاب والأدباء في القرن العاشر، أن (الدولة السعدية) لما نبعت في أول هذا القرن وجدت من هذه الجبال من يليقون ليكونوا أدباءها وعلماءها وكتابها، فالتمليون والهوزاليون والبعقيليون الايسيون تجدهم كثيرا بين من يجري بهم قلم التاريخ إذ ذاك، ثم في القرن الحادي كانت مدرسة عبد الله بن يعقوب السملالي وأولاده، ومدرسة (أزاريف)، ومدارس الرسموكيين والصوابيين زاخرة، ويكفيك أن ممن تخرج بها حتى ما طلع من (سوس) إلا وهو يدرس إمام زمانه الحسن اليوسي، فراجع فهرسته في ذلك، فقد أثنى عليهم في الاعتناء بالعلوم العربية اعتناء زائدا، ومن أشياخه عبد العزيز الرسموكي، غريق (وادي الغاس)، والذي نشط العلم في (سوس) كثيرا السعديون، فراجع كتاب «الفوائد الجمة» لترى ما ليس لك بحسبان، ثم جاء السلاطين أحفاد الشيخ أحمد بن موسى، فزادوا في ذلك على قدر وسعهم، مع ما يناوئون به من كل جهة

على قدر الرداء مددت رجلي ولو طال الرداء لها لطالت

وفي أيامهم كان اليوسي بجبال (جزولة)، فتلقى في عاصمتهم (إيليغ)، وقد حشروا إليها علماء (جزولة) بعدما احتفلوا بها، ثم لما جاء الشيخ ابن ناصر في النصف الأخير من القرن الحادي وقد طار صيته بتعليم العلوم، ويده ممدودة بالاعانة لكل غريب انقطع إلى القراءة، انثال إليه طلبة (جزولة)، فرجع منهم فحول هم الذين أقاموا أسواق العلم الحافلة في القرن الثاني عشر، ونشر العلم كان من ماهيات الطريقة الناصرية، فيه حقا انتشرت هذه المدارس في القرن الثاني عشر والثالث عشر، حتى تنافست القبائل في بناء المدارس، وقلَّ أن تجد

الآن قبيلة إلا وفيها مدرسة أو مدرستان أو أكثر، وإذا كانت القبيلة كبيرة يبني كل فخد مدرسة على حدة، كالبعقيليين والمجاطيين والرسموكيين، فيجب أن يعلم التاريخ وأن يعلن المؤرخون، أن ازدهار العلم والدين في (سوس) في هذه القرون الثلاثة، إنما يرجع إلى الشيخ ابن ناصر بواسطة تلاميذه وتلاميذة تلاميذه، وهذه مدرسة الحضيكي في (أفيلال) ما قامت إلا تحت ظل الطريقة الناصرية، وكذلك مدرسة العباسيين ومدرسة الصوابي، وهذه المدرسة الجشتيمية كذلك ما قامت إلا بذلك، ومدرسة الأسغركيسيين، وأما المدرسة التمكَلجتية المؤسسة في القرن الثالث عشر، فحالها أشهر من نار على علم، فقد امتد بسببها خير كثير بواسطة الوعاظ في الأسواق، الّذين يعلمون العامة أصول الدين والعقائد الصحيحة، حتى لقد أصبحت أسواق جبال (جزولة) و (أزغار) في زمان ببركة التمكَلجتيين كأنها مدارس، ووعاظها هم الذين ينتقلون من سوق إلى سوق، وليس لهم شغل إلا هذا التعليم المذكور، كأنهم سفراء الدين والرسل، الذين يعرضون الحكم على كل وارد وصادر، مع قناعتهم بما تيسر مما يعين به من حضر، ومن أولئك الوعاظ سيدي إبراهيم السمكني، كان في الفقهيات لا يجارى، وسيدي محمد التمليلني، كان وعظه يفلق الصخور الصم

ثم تفرعت عن المدارس الجشتيمية والتمكَلجتية وكلاهما ناصرية المشرب، مدارس كثيرة، فمحمد بن ابرهيم التمنارتي الذي كان شيخ جماعة كثيرة من العلماء، الذين أدركناهم كمحمد بن عبد الله، مؤسس المدرسة الإلغية، تخرج من الجشتيمية وكذلك تخرج عنها الحاج الحسين الافراني، والحاج ياسين، والحسن بن الطيفور، وناهيك دينا وجلالة بآخر الجشتيميين الحاج أحمد، الورع السني الكبير

وتخرج من المدرسة التمكَلجتية الأدوزيون، الذين أخذ عنهم مسعود المعدري، وعلماء (أساكا) بـ (إفران)، وتخرج منها أيضا سعيد الشريف،

صاحب مدرسة إداو محمد الطائرة الصيت، والحسن التملي، صاحب مدرسة إرزان، ومحمد المزوضي الشهيرة مدرسته إزاء ضريح أحمد بن علي بُوتِزّوَا، وبهذا تخرج كل العلماء السباعيين أصحاب المدارس هناك، وتخرج من المدرسة التمكّلجتية أيضا، الحسين نيت بهي المتوكّي، فمن هنا تدري ما قلت لك من أن بركة الناصريين من كل جهة هي التي عمت (سوس)، إلى (درعة)، فكل ما فيه من دين وعلم وصلاح وسنة فمن آثارهم، وها هي الناصرية اليوم يتقلص ظلها، وهؤلاء أهلها كذلك يتحولون عما كان عليه أجدادهم، وها هي طرق أخرى تحل محلها، وقد أعرضت عن العلم ونفضت منها يديه، وقالت علم الرقائق والحقائق هو أولى من كل شيء، ولنتركها والزمان، فعند الممات تظهر التركات

هذه نظرة عجلى كتبتها و ليس عنـدي ما أراجع، وإنما أستقي من بقايا في ثنايا ذاكرتي، فلعل القارىء يكتفي بإجمالها، حتى يقع على بعض التفصيـل فيمـا سيأتـي إن شـاء الله

فهاك جدولا تتبين منه المدارس الموجودة اليوم بـ (سوس)، نتتبعها بتتبع القبائل، لعلنا نستقصيها أو نقرب من ذلك، وسنبتدىء بالجنوب إلى الشمال

(1)

1) لم يبين المؤلف رحمه الله هذه المدارس هنا وربما اكتفى بما سجله في الفصل الثاني من هذا الكتاب (الناشر) .

3 ـ كيف تشاد المدارس ؟ وبأي شيء يقوم أودها ؟

إشادة المدارس وكيفية قيامها تتوقف على السبب الداعي إليها أولا، فإن كانت القبيلة هي التي عزمت على بنائها، فإنهم يقفون بكل ما لهم مما يتوقف عليه البناء حتى تتم، والناس كلهم في ذلك سواء، فيرسمونها كما يريدون بيوتا بيوتا سفلى وعليا، وهي مستديرة في ساحة واحدة، ويبنى فيها المصلّى ومسخن الماء والمتوضأ، ومسكن الطاهية التي تطبخ للطلبة مؤونتهم، ومسكن الأستاذ الذي يشترط فيها، وهَرْي كبير يجمع فيه زرع المدرسة، الذي تدفعه القبيلة كما سنبينه، وقد حضرت وأنا صغير في مدرسة إغشان وقد كانت قديمة متشققة من جميع جوانبها، وجدرانها متداعية تكاد كلها تنخر على الأرض، فاجتمعت عليها القبيلة بإذن الحاج إبراهيم الاغشاني «أمغارها»، فبنوها بعد أن هدموا أكثرها، فصارت كأنها تبنى من جديد، فشادوها على الكيفية التي ذكرناها، وذلك سنة 1329 هـ، ثم بعد أن تبنى المدرسة تجعل لها القبيلة إما ربع عشر مزروعاتها أو ثلثه أو أكثر أو أقل، والغالب الذي به العمل أن ذلك يكون ثلثا، ومن هذا الثلث يمان الطلبة وأستاذهم، إما على يد أمين تضعه القبيلة على هري المدرسة، وإما أن يدفع المفتاح إلى الأستاذ نفسه، فيأكل في ذلك بالمعروف، وكثيرا ما يتجاوز بعض الشرهين من الأساتذة الحد، فيرجع على ما في الهري بيعا، حيث لا مراقب عليه، حتى يتأثل من ذلك أموالا عريضة طويلة، وقد يكون للمدرسة أحباس وحقول وأملاك، إما من الشراء بما يفضل عن المؤن في الهرى، فيتحين الأمين الحريص أن يزيد أملاكا على أملاك للمدرسة، كمدرسة بني نعمان ومدرسة تانكرت وإما من الهبات والصدقات على المدرسة، وكل هذا إنما يرصد لمؤونة الطلبة والأستاذ، وإعانة الضعفاء من غرباء الطلبة، وإما شرط الأستاذ فإنه على القبيلة، فتدفع له حظا معلوما لكل كانون، فيخرج الطلبة لجمعه في بعض القبائل، أو تجمعه القبيلة نفسها، وقليلا جدا أن يعطى الشرط من هري المدرسة، والشرط يكون شعيرا له بال، يناهر في المدارس

الصغيرة مائتي عبرة الفرنسية، وأما الكبيرة فإنه يصل فيها خمسمائة (500) وأكثر، وربما يصل نحو ألف إذا كثرت القبيلة جدا، هذا من الشعير إن كان هو الذي عند القبيلة، وإن كانت الذرة فإنه يعطى منها أيضا، والأستاذ الطاهر بن محمد في مدرسة تانكرت ممن يعطي الشعير والذرة، كما أن أهل الزيت أيضا وأهل الثمر منهما، وكذلك السمن يعطى كل كانون كانون إناء معلوما نسميه عندنا «تَوْلْتِيمْتْ»، ويكون قدر كيلو، فيجتمع للأستاذ من ذلك مائتا كيلو أو أكثر في القبائل الصغيرة، وأما الكبيرة فأضعاف ذلك، وقد حضرت وأنا صغير بين طلبة مدرسة إغشان وهذه قبيلة صغيرة لا تصل إذ ذاك 300 كانون، فكان الأستاذ يملأ الخوابي المتعددة منه، وتلك السنوات مخصبة وقل أن تجد أهل كانون لا يمخضون بقرة أو غنما أو هما معا.

ثم ان المؤونة التي ذكرناها للطلبة هي التي تصنع من مطبخ المدرسة من شعير هريها، وفي بعض القبائل تطبخ القبيلة نفسها للطلبة، كقبيلة تانكرت، فإن أهلها يتتبعون الكوانين بطعام المدرسة قرية فقرية، وهناك من يعلم من عنده النوبة، ثم في رمضان يحتفلون بالطعام أي احتفال، فيجتمع على قصعة واحدة كوانين متعددة، فيفتل الكسكسو فتلا خاصا، ويسقى بالسمن الكثير، ويملأ ما فوقه لحما، ثم مع ذلك ترفق القصعة بسمن آخر في سكرجة، وماء مرق في إناء آخر، فيأكل منه الطلبة عند الافطار أحسن طعام يذاق، وللافرانيات يد صناع في الطهي فيها يعتدن طهيه، فكنا ونحن شببة متقاربون إن امتلأنا بذلك الطعام وتمطينا شبعا، نقول فيما بيننا لابد أن نزور هذه المدرسة في كل رمضان، من أجل هذه الجفنة التي هي من الجفنات الغر يلمعن في العشي لا الضحى كما قال ابن ثابت، هذا والتي تطبخ في المدرسة للطلبة، إما أمه تملكها المدرسة، وإما خادم تستأجر لذلك، والأطعمة المعتادة من طعام المدرسة الغداء والعشاء فقط، ولا زائد إلا ما كان من الأستاذ فإنه يزاد له طعام وجبة نصف النهار أيضا، لأن الغداء عندنا ما يتناول صباحا، لأن عرفنا بذلك لم يزل كما كان قديما عند إخواننا العرب، ويعطى وراء ذلك شعيرا

يبيعه ليشتري به اللحم والسكر والادام، بحيث يكون مكفى المؤونة، وإن كانت له بغلة فإن مؤونتها أيضا مكفية من هري المدرسة، ثم إجارة الأستاذ المشترط تكون مسانهة

هكذا تتمشى المدرسة إن كانت للقبيلة، وأما أن يقيمها إنسان لنفسه ولم يعتمد فيها على أحد، فإن هذا قليل عندنا بـ (سوس)، وربما لم تكن مدرسة كذلك إلا مدرسة تمگلجت، ثم أنها لم يقدر صاحبها أن يستمر على ذلك إلا ببركة القبائل التي تعطى لها الأعشار، وهذه المدرسة الالغية قد أسسها صاحبها بنفسه، ولكنه مع ذلك، اعتمد فيها على بعض المرابطين الذين يعينون بأعشار يمان بها الطلبة، ولذلك يصح لنا أن نقول إن إقامة إنسان واحد للمدرسة بنفسه، من غير أن يحتاج فيها إلى من يعينه، ليس ذلك عندنا في هذه البلاد لقلة المال، ولكزازة النفوس، وذلك لأهل الحوز الذين يعينهم خصب البلاد وسعة الفلاحة كمدرسة الرسموكي في (بوعنفير)، فإنه لا يعينه أحد، مع أنه قام بالمدرسة خير قيام، وكذلك مدرسة الساعدات وإن كان أساتذتها ربما يجدون من السباعيين إخوانهم بعض إعانة، عندما يدورون عليهم رأس كل سنة، وأما مدرسة مزوضة فإن القبيلة تحرث وتحصد، وتعين كل إعانة في كل شيء

هكذا تكون المدارس بـ (سوس)، فمثلها إذن مثل المساجد الصغرى في القرى، غير أن هذه تختص بسكان القرية، يتعلم فيها أولادهم لا غير، وتلك مشتركة بين كل أهل القبيلة، وهي مفتوحة الأبواب لكل من جاء أيا كان، لا يسأل من أين ولا إلى أين، وإدارة شؤونها التعليمية بيد أستاذها، فيأوي من يشاء ويصرف من لم يرد فلا مرد لقضائه، والعادة متى أرادت القبيلة أن تشترط أستاذا، ويسمى هذا «الفقيه»، أن يجتمع رؤساء القبيلة معه ويبينون له ما يشترطون به، ثم يقبل أو يطلب الزيادة، ثم إن توافقوا فذاك، وإلا فينصرف بسلام، ثم إن دارت عليه السنة ودار مثل اليوم الذي دخل فيه، في أي فصل

كان تجتمع القبيلة أيضا، فإما أن يعيد معهم وإما أن يودعهم، وهذه العادة نفسها هي التي تتبع طريقتها بين القرى وبين طلبة مساجدها

4 ـ العلوم التي تدرس في القطر السوسي

ما جاء القرن الثاني عشر والثالث عشر، حتى كانت العلوم قبل القرن العاشر مستوية الميزان في التعاطي، من أقصى (البلاد العثمانية) في الشرق إلى أقصى بلاد المغرب، فهذه كتب تواريخ هذه القرون تفصح بأن الذي يتعاطى في الشرق أجمع، وفي الأقطار التي في جنوبي البحر الأبيض المتوسط، من مصر وطرابلس وتونس والجزائر والمغرب، لا يتجاوز النحو وبعض قليل من اللغة، وما يتبع هذين من علم التصريف وعلم البيان، على ضؤولة تأثيره في الألسن، حتى كان العلماء المدرسين في هذه القرون الثلاثة لا يتعاطونه، و«الفقه الجامد» الذي لا يعدو وشروح الأجاهرة حول «المختصر»، و«الرسالة» و«ابن عاشر»، وبعض متون أخرى تروج في بعض البلدان، ولا تعرفها البلدان الأخرى كـ «فقهية الفاسي» في فاس، و«مجموع الأمير» في مصر و«الرسموكية» و«السملالية» في سوس، هذه عند المالكية، ويعرف كذلك الجميع «المنطق»، ولكن لا يدرس منه إلا «السلم»، الذي ألم فيه بنقطة قصيرة، وذلك كل ما يعرف في الشرق ويتداول، بأن كان بعض أناس وقعوا منه على كتب أخرى دراسة فذلك غير عام ولا متداول، وكذلك شاعت «التحفة»، لابن عاصم في المغرب و«الزقاقية»

وبالجملة لم يكن العلم المتداول في هذه القرون الثلاثة إلا «الفقه المختصري» الذي نخله الأجاهرة والمحشون الفاسيون، ويتمشى في ظل ذلك «متن الرسالة»، و«المرشد المعين»، و«التحفة»، و«الزقاقية»، و«النحو الألفي»، و«الأجرومية»، و«اللامية»، و«الجمل»، فهذه متون النحو المتداولة، فإن كان «المغنى في معاني الحروف» يدرس في بعض البلدان، فإن

ذلك غير عام ولا مشهور بالتداول في بلادنا، وكذلك «التسهيل»، قد أميت تدريسها إلا في بعض مدارس عندنا بـ (سوس)، فإنها تعتني بها كما سنذكره و«البيان التلخيصي الجامد»، يعتنى به رسميا وتداولا، من غير أن يطلق من جموده، ثم جاء «الدسوقي»، فزاده جمودا إلى جمود، سامحه الله وأثابه بنيته، و«الأصول الرمزية»، التي يقع على فحواها وعلاماتها من تطير بالهمة إلى الأصول، ثم لا يزال بين متن «جمع الجوامع» وبين «المحلى» وبين «العبادي» و«اللقاني» كأنه عصفور في الأجراف إزاء البحر، والأمواج تلتطم بينها، فهو يقع كلما جزرت، ويطير كلما مدت، فلا يزال بين وقوع وطيران، فكذلك يقع لمن يتطلب الأصول من جمع الجوامع مع شرحه المحلى وحواشية حتى يخرج من الباب السابع، كما دخل من الباب الأول، فهذه العلوم هي الثمالة التي أسارتها القرون في الكاس، فترى الناس طوال السنين الدراسية يتمصمصونها تمصصا حتى يفتح الله على بعضهم من عنده طاقة، فيتنسم منها روح فهم فيتنفس الصعداء، ويظن أنه من المفتوح عليهم أبواب المعارف على مصراعيها

فالنحو وما إليه مما ذكرنا، والفقه المختصري والبيان التلخيصي والأصول الجمعي، هذه كل ما بقي في هذهُ القرون، ثم إن نبغ في بعض هذه نابغة وما أقل ذلك، فإنه لا يخرج عن هذه الدائرة، ولا ينسج إلا مثل هذا النسج، كالشيخ التاودي وبناني والمسناوي والرهوني الغريب العجيب والأمير المصري، فإن هؤلاء حقا نبغاء ولكنهم عوض أن ينسجوا نسجا سهلا لينا قريب التداول، وجدناهم لم يعدوا هذه الكيفية فذهبت جهود التاودي، وذكاء الأمير، وأبحاث بناني، ونقول الرهوني في هذه الكيفية، كأنما سقط عليها اليوم ردم فتراكمت عليها أمثالها، على أن هناك أمثال ابن الزرقاني الذي حاول إحياء «الفقه الحديثي» بشرحه لـ «الموطأ» وشيخ الاسلام نابغة اليمن، وربيب مصر الشيخ المرتضى، الذي كاد يحيي بهمته علم السلف، والامام الشوكاني الذي صرخ في التقليد صرخة لو صادفت الأحياء لقطعت نياط أفئدتهم، ولكنه لم يصادف إلا الموتى، فما زال يجاهد حتى لقي ربه، فصار نسيا منسيا،وكاد يبقى

كذلك أمر الدهر لولا المطبعة اليوم، والحافظ الحجة إدريس العراقي الذي رفع شأن المغاربة، وزاحم بمنكبه السيوطي وابن حجر، والامام اللغوي الشركي صاحب اليد الطولى على اللغة، حيث هز بشرحه همة تلميذه المرتضى، فأخرج تلك الذخيرة العظمى، والسلطان محمد بن عبد الله صقر العلويين وواسطة عقدهم، الذي عزم أن ينفخ في العلم والهمم روحا جديدة تبعثر بها من بالقبور، ولكنه فرد بين أمة وما عسى يفعل ولو كان صاحب نهي وأمر، وأين الغربي وأمثاله ممن استنهضهم بما تتطلبه همته العليا ؟ ثم انه غلب أخيرا وسقط دون بلوغه أمنيته

فهؤلاء وأمثالهم وإن كانوا مروا في هذه القرون، غير أنهم مغمورون بآلاف مؤلفة من جملة العلماء الرسميين وأغبياء الفقهاء المخلدين إلى الأرض، فذهبت صيحاتهم في واد، وأعمالهم شذر مذر

ولذلك بقي الشرق أجمع، وجنوبي البحر الأبيض سائر على وتيرة واحدة، وعادة متحدة في العلوم التي تتعاطاها، وقد مات التفسير والحديث والتاريخ وعلم الرجال وعلم اللغة حتى لا تذكر، حتى أن العلماء ليملأ أعينهم عجبا من له بعض إلمام بذلك، كما وقع للشيخ التاودي حين نزل بـمصر في حجته، ثم لما استدار الزمان بدورته، ووقع الشرق في أول القرن الماضي تحت كلاكل «بني السين» أيقظتهم الكوارث، فصاروا يجمعون أطرافهم، ويتفقدون مكنونات خزائنهم، فيحيون ما مات بعض قرون، وينفضون عنهم من غبار مئات من السنوات التي ناموا فيها، فتبعهم (الرافدان) و(وادي بردى) وأبناء قرطاجنة، ولكننا في المغرب ما زلنا كما كنا حول هذه العلوم، كأنها متحف أقامنا على عادياته الشرق، لنحافظ عليها للأجيال المقبلة، ولكن مع ذلك حصل بعض شعور في مجالس الدراسة في (الكلية القروية) بهمة صاحب الجلالة مولانا محمد بن يوسف، ثم سرى ذلك إلى مراكش، فهناك حد رأس الموجة

وأما (سوس) ومدارسها فهي اليوم لا تزال كما كانت منذ القرن العاشر،

ولا يزالون كلهم راضين مستبشرين بمعلوماتهم، قانعين بما وجدوا عليه الآباء، فلا تحس باشمئزاز، ولا تشاهد من يتطلع إلى الزيادة عما كان، كأن لسان حالهم يعيد المقالة الغزلية ﴿ليس في الامكان أبدع مما كان﴾، وعهدي بالأستاذ الأديب الشاعر أحمد بن محمد اليزيدي، وأنا أسرد عليه يوما قصيدة أظنها لشوقي، فقلت له هكذا ينبغي أن يكون الشعر، فقال لي دعونا وشعرنا الذي اخترناه، فلا تطمعوا فينا محبة استبداله بنوع آخر، يقول ذلك من أعماق قلبه، مع أنه ذو ذوق عال في الأدب متمكن في أنواعه، على عادة أدبائنا، كما ستشاهد ذلك أمام

لذلك يجب أن تعتقد إن اطلعت على العلوم التي تتعاطى اليوم في مدارسنا في هذه البلاد، أن هذه الحالة كانت هي بنفسها حالة الشرق أجمع منذ القرن الحادي عشر، وإنما بقى ذلك في (سوس) لما ذكرنا، وتبدلت الأقطار الأخرى للأسباب المتقدمة، على أننا وقد عرفنا كيف دراسة فاس قبل النظام، سنقع في مدارس (سوس)، على كيفية أعلى وأقرب إلى النفع من تلك إذ ذاك، وسنقع على فنون تتعاطى في (سوس) ويعنى بها فيها، في حين أن فاس منها صفر قبل النظام، وستجد كل ذلك أمامك إن شاء الله

ـ الفـقـــــه

المتـــون المتداولـة فيـه

ـ 1 ـ «المرشد المعين»، ويقرأ إما بشرح ميارة وإما بشرح الأدوزي، وبه يبتدىء التلاميذ أولا، فيقرأونه مرة أو مرتين، ويعتنى بحفظه كل اعتناء، والأدوزيون يفتتحون بـ القرطبية عادة في أول يوم، وهي معروفة في الفقه.

ـ 2 ـ «الرسالة» وهي للطبقة الثانية بعد أن تقرأ المرشد، وهي منتظمة في الطبقة الثالثة، وتقرأ بشرح أبي الحسن، وقل أن تقرأ بشرح الحضيكي

أو شرح الكرامي السوسيين، ويواخد قراءها في هذه الجبال بحفظ ما تيسر منها ولو توخيرها على الأقل

ـ 3 ـ «المختصر» بشرح الدردير، وحاشية الدسوقي، ويحضر الخرشي والزرقاني، فيراجعان كما سنذكره في نظام الدراسة وكيفيتها إن شاء الله

ثم إن المختصر يحفظ منه ما تيسر، وقلما يوجد من حفظ جله فضلا عن كله، وذلك متروك للدكاليين الأذكياء، خصوصا الصديكيين منهم، ولم أسمع من حفظه كله في هذه البلاد، إلا واحد يذكره الطلبة، أخذ من مدرسة (إلغ)، يسمى محمد من حفدة علماء (أيت تالات أوكْنار)، وإلا الأستاذ الحسن ببيس، عالم الأخصاص، ممن أخذ عن الأستاذ سعيد الشريف وأناس آخرين قليلين، وكان سعيد هذا قواما على المختصر وقد جزأ أنصبة فيها بعض طول، بحيث يتم دراسة في حد محدود من الزمن، ولا تزال معلومة أنصبته في المختصر، وغيره من المتون التي يدرسها، حتى لقد سمعت من يعيرهم به، فيقول إنهم لا يعرفون الفقه إلا التسولي، ولا يفتون ولا يحكمون إلا به، وهذا المعير جاهل بلا شك بمكانة ذلك الشرح النفيس، ويعتنى بحفظ التحفة كثيرا، والزقاقية بشرح التاودي، ويعتنون بحفظها، فهذه المتون هي التي تدرس في الفقه، وشاع تداولها، وقد كان الأستاذ محمد بن مسعود، أدخل في مدروساته في مدرسة (بني نعمان) مجموع الشيخ الأمير، ولكن ذلك انقطع بوفاته

ـ النحـــــو

ـ 1 ـ «الأجرومية» هي الأولى بادىء ذي بدء حتى تتم، والشرح الذي يعتمد عليه فيها إما الأزهري، وإما شرح المحجوبي السوسي.

ـ 2 ـ «الجمل» بشرح الرسموكي.

ـ 3 ـ «الزواوي» بشرح البعقيلي السوسي

ـ 4 ـ «لامية الأفعال» إما ببحرق وإما بشرح السوسي، ومدرسة (إلغ) لا تقرأ فيها اللامية غالبا إلا بهذا.

ـ 5 ـ « المبنيات » بشرحها، وكلاهما لسيدي محمد أبراغ دفين (تانكرت بإفران)، وهناك متنان آخران كل واحد منهما يقال له المبنيات، وإحداهما للفلالي وأخرى لغيره، ولكن الأولى «البراغية» هي التي يعتنى بها عندنا في (إلغ)، وغيرنا يعتنى بغيرها.

ـ 6 ـ «الألفية» بشرح المكودي والموضح والبهجة للسيوطي، ويحضر الأشموني على النظام التي سنذكره في كيفية الدراسة إن شاء الله، والأدوزيون ومن إليهم يقرأون الألفية بـأيسر المسالك للأدوزي

فهذه متون النحو عندنا في مدرسة (إلغ)، وربما التفتوا إلى التسهيل، ولكن ذلك قليل جدا، والذين يعتنون بالتسهيل هم الأساتذة الأدوزيون، خصوصا آخر المدرسين الحذاق الصابرين المحفوظ، فإنه كان يدرسها بشرح ابن عقيل والمرادي أو بهما معا،، وكان على ذلك قواما، وهذه متون النحو، والتحفة لابن عاصم بشرحي التاودي والتسولي، وكثيرا ما يعتنى بالأخير في المدرسة الالغية، ويعنى بها أشد العناية، حفظا وتقديرا واستظهار شواهد، ولا يسامح في ترك حفظ أية واحدة منها أحدا، وتتلى كلها دائما جماعة أو فرادى، وسنلم بما يتعلق بذلك في كيفية الدراسة، فانتظر فأنا معك من المنتظرين

ـ الفــرائـض

لا يتعاطى في ذلك بعد فرائض المختصر إلا منظومة الرسموكي بشروحه عليها، وشروحه عليها ثلاثة الصغير والوسط والكبير الذي جمع فأوعى، ويهتم

يحفظها كثيرا كثيرا، وهذا العلم من علوم السوسيين المشهورين بها، وهم يدرسونها بعد أن يحفظوها بالعمل كما سنذكره، فيكون لهم باع طويل وتمكن مكين

ـ الريـاضيـــات

لا يتداول عندهم في الرياضيات إلا علم الحساب فقط، فمتن الأرجوزة السملالية التي أتمها أحمد بن سليمان الرسموكي، وشرحها أيضا بشروح ثلاثة الصغير والوسط والكبير، وفيها الجمع والطرح والضرب والقسمة، هذه صحيحة ومكسَّرة وطرق ذلك، وليس فيها الجبر ولا ما يماثله، وحسابها على النمط القديم، ولكن السوسيين يتقنونه إتقانا عجيبا، حتى تحصل لهم فيه ملكة، بل فيهم نوابغ لا يجارون فيه وفي الفرائض، ومنهم الأستاذ محمد اكَّيك والأستاذ علي رحمهما الله، والأستاذ عبد الرحمن العوفي البعقيلي حفظه الله، والأستاذ محمد بن مبارك التغجيجتي، الذي كان يدرسه لنا وعلم الفرائض، إذ نحن في مدرسة (تانكرت) أعوام 1333 هـ إلى 36 وآخرون، والسملالية هذه تحفظ ولابد

ـ البيـــــان

«التلخيص» هو الكتاب المعروف عند الناس في هذا العلم، وهو مؤلف حسن سهل، وذلك العلم أيضا سهل، غير أنه يحتاج إلى ذوق سالم، ولا تكفي فيه المعرفة فقط، ويقرأ التلخيص بشرحه المعهود السعد، وليس هذا العلم بالمشهور كثيرا، إلا في بعض المدارس التي تتطلع إلى الآداب وتذوق معاني اللغة، كالمدرسة الالغية والأدوزية والبونعمانية والتنكرتية وأمثالها، وقد كان للشيخ الحسن بن أحمد بن محمد التمكَّلجتي يد في هذه العلوم التي يصفونها

بالرقيقة، وقد حدثني قاضي (مراكش) مولاي أحمد البوسعيدي أن الحسن بن أحمد هذا كان مشتاقا إلى الرحلة إلى (فاس) ليأخذ هذه العلوم، لعدم رواجها بين يديه إذ ذاك، فكان أبوه الرجل الصالح يقول له مهلا عليك، فسترد (فاس) إليك هنا، فساقت الأقدار سيدي إبراهيم الأكراري، ممن أتقن هذه العلوم إلى (تمكلجت) للزيارة، فاستدعى السيد أحمد بن محمد ولده الحسن فقال له هذه طلبتك فاخذها هناك، ولم يعمل لاحفا ولا حافرا، ولا كان تراب الأرض بالقدم، فأخذ عنه التلخيص في جماعة، واقترحوا عليه شرح الجوهر المكنون، فشرح منه بخمسة كراريس، ثم خطر شرح آخر، ففت ذلك في عضده، والاستعارات للشيخ ابن كيران فإنها معنى بها أشد العناية، حتى شرحها الأدوزي، ثم محمد بن المحفوظ، ونوى أن يحفل شرحه حافلا جامعا، ولكن الذي رأيته منه لم يكثر، ولا أدري أهذا الذي رأيته مبتور، أم أنه لم يتم من يد مؤلفه، ولابد أن تحفظ بين دارسيها

ــ المنطـــــق

المنطق علم واسع جدا، غير أن السلم منظومة الأخضري قبست منه قبسة فاكتفى الناس بذلك، وهم أخوف الناس أن يصطدموا والسيوطي، الذي حرمه من أصله مع طائفة من المحدثين كثيرة، ولا شك أن هذه النقطة التي خطفها الأخضري من ذلك البحر لا تحرم، ولكنها أيضا لا تسمن ولا تغني من جوع، ولولا أن ابن عرفة شبك بقواعد حدوده، ولولا أن كثير المؤلفين يعتمدون على أشكاله في تآليفهم، فيحتاج مطالعها ودارسها إلى معرفة الاصطلاح، لكان تطليقه أصالة هو الأولى، ولكان رأي السيوطي أليق، حيث قال إن ما يحتاج إليه منه مركب في سليقة كل إنسان، حتى لا يحتاج إلى تعليمه، ولكننا الآن أمام الأمر الواقع، فلابد منه إذن، ولذلك حافظ عليه السوسيون فيما حافظوا عليه من التراث، وهو ليس معروفا كثيرا إلا في بعض

مدارس تتعالى إلى مختلف العلوم، كالالغيين والأدوزيين والبونعمانيين والتانكرتيين والجشتيميين، وقد كان للمحفوظ الأدوزي كثيرا ما يسبق به صباحا للاعتناء به

ـ الأصـــــول

المتون التي تدرس من هذا العلم متنان أولهما «جمع الجوامع»، وقد كان لمحمد بن مسعود البونعماني وللمحفوظ الأدوزي به اعتناء زائد، وتتبع العبادي واللقاني والباجي في تلك المشاكسات اللفظية، والمنازعات المذهبية والالتزامات الهوائية، فكان ابن مسعود لحدة ذهنه وذكائه يحكم إما لهذا أو لهذا، أو يستشكل هو بدوره ليزيد ذلك الطين بلة، فكان له شرح ملأ طرره بأنظار له دقيقة، كان المحفوظ بها معجبا، فكان يحضر ذلك الشرح المطرَّر فيتتبعه، لكن الالغيين لا يجولون في هذا العلم، وما علمت أنهم قرأوه قط، وأما الأستاذ الطاهر الافراني فإنه من محصلاته في الرحلة إلى (تارودانت)، فدرسه على شيخ الجماعة أحمد الجشتيمي سنة 1306 هـ، هو ورفيقه العربي بن محمد السمكْني رحمه الله

هذا هو المتن الكبير المشهور، وهناك الورقات المنسوبة لامام الحرمين كذلك تتداول، ولا يزال الأستاذ مسعود الوفقاوي يدرسها إلى الآن، وأما في (إلغ) فكذلك لم أعلم قط أنها درست، ولعلها لم تكن من مأخوذات الأساتذة الالغيين، ثم أخبرت أنها ربما درست، وكان العلامة سيدي عبد العزيز الأدوزي ممن يخوض هذا الفن، وكان مولعا بتنقيح القرافي دراسة، وقد نسخ شرحه بيده

ـ الهيـــــأة

كان للسوسيين في العلوم والرياضيات كلها من القرن العاشر فما وراءه، يد طولى، فعبد الرحمن البعقيلي وأمثاله مشهورون بها وكذلك الرسموكي،

وللاكراريين الأستاذ محمد أرفاك، والأساتذة أبناء عمه الحسن بن عبد الرحمن، وأخواه محمد وعثمان جولات فيها إلى الآن، يتعاطون ذلك عملا، وأما سواهم اليوم فيما أعلم فلا يتعاطى إلا «المقنع»، وهي في ذلك بمنزلة الأصبع من الجسد، ولكنه هو الذي يتعاطى في المدارس، ولا يعرف غيره بشرح مؤلف المرغيتي، وتجد الذين قرأوه أتقنوه، فلم أقرأه أنا قط ولا عرفت، ولا تصورت في أي شيء يروج إلا توهما وسماعا، حتى أنني لما قلت إنه بعيد من الهيأة فإنما قلدت في ذلك غيري، ولسان حالي ينشد قول ابن سهل لمن يعارضني في عدم صحة ذلك الحكم

أقلد وحدي فليبرهن مقلدي فما أضيع البرهان عند المقلد

ـ اللغـــــة والأدب

إن للسوسيين عموما، والالغيين والأدوزيين والبونعمانيين والافرانيين والجشتيميين خصوصا، عناية تامة باللغة والأدب، فيتقنون أولا علم «الصرف والاشتقاق» وذلك مفتاح علم اللُغة كما لا يخفى، بل ذلك نصفه أو أكثر، فتجد المقامات الحريرية وبانت سعاد ولامية العجم والدريدية والدالية لليوسي والمعلقات السبع والشقراطيسية والبردة والهمزية، لا تقرأ إلا لتعلم ألفاظ اللغة أولا، ثم للأدب ثانيا ثم للأمداح النبوية في هذه الثلاثة الأخيرة ثالثا. ويعنون عناية تامة بحفظ المقامات كلها أو بعضها، كما يعنون بحفظ البردة والهمزية ولامية العجم والدالية ويواخذ التلميذ باستحضار الألفاظ الغريبة منها، كما يواخذ بمعرفة قاعدة القاموس والمصباح والمختار، وكيفية اكتشاف أية لفظة يريدها منها، ثم هذا أمر عام في (سوس)، وازداد المذكورون خاصة بأنهم يتخذون هذه المتون اللغوية سلما أيضا إلى الأدب، فترى أثر ذلك في اسلات أقلامهم، وحواشي محاوراتهم ومناظراتهم متى ضمهم محفل من المحافل، وقد اعتنت بهم مطايا الأحاديث، ويرون ذلك مما يتم به إدراك التلميذ، وقد كان

أستاذي الافراني أنشدني في هذا المقام لبعض الصحراويين

أول واجب على من كلفا ممكنا من نظر حفظ قفا

(يعني قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل، قصيدة امرىء القيس)، فيكون تفهم اللغة واستحضار ألفاظها، وتذوق الأدب يتمشيان جنبا لجنب، والطلبة يقرضون الشعر عند كل مناسبة، ويتراسلون فيما بينهم مراسلات لها مكانتها في الأدب، فترى الأمثال النثرية والشعرية ترد على ألسنة الأقلام من غير تعمل، وتسمع الأبيات النادرة المسطرفة، تجري على الألسنة بين الجالسين عند كل مناسبة، ويمتاز البونعمانيون أيام ابن مسعود بقراءة المقامات البديعية زيادة على ما ذكر لي، والأدوزيون بدراسة ديوان المتنبي تتبعا، كما تدرس الألفية وقلائد العقيان بشرح ابن زاكور، أيام المحفوظ بن عبد الرحمن، والالغيون والافرانيون لا يدرسون هذا في ندوة الدراسة العامة، ولكن الطلبة يتدارسونها بينهم، ويزيدون ديوان سقط الزند للمعري، ونفح الطيب، فهم قيمون عليه، ولا يخفى على أمثال أحمد بن محمد اليزيدي وعبد الرحمن البوزكارني، والمدني ومحمد ابنا الطاهر، والأستاذ علي بن عبد الله، ومحمد الحامدي ومحمد التملي، والأستاذ داوود الرسموكي، والأستاذ الحسن الجسالي وعبد الله بن الطاهر، وأحمد التجرمونتي ومحمد بن أحمد المنوزي، ومحمد بن مبارك البوعمراني، أي أديب أندلسي ذكر فيه فهم، يعرفون ابن الخطيب وابن زمرك وابن جزي وابن خميس وابن خفاجة وابن خاقان وابن بسام والرصافي، كما يعرفون أبناءهم ويستحضرون القصائد الطنانة، كما يستحضرون تحية الصلاة، فما منهم إلا من درسه مرات، وأما مولاي عبد الرحمن البوزكارني، فإنه دليل خيراته كاد يحفظه كله كما يحفظ الدليليون في (مراكش) دليل الخيرات

هذا عن التلاميذ المذكورين الذين نبغوا في الأدب أخيرا، وأما أساتذتهم علي بن عبد الله والطاهر بن محمد وولده محمد والبشير بن المدني، وأحمد بن صالح الافراني ومحمدابن الحاج وبلقاسم التجرمونتي وعبد الله بن محمد الالغي،

فإنهم في ذلك كله الأدلاء الخريتون، وهم الذين مهدوا الطريق ونحوا عنها الأشواك، ورصفوها وعبدوها لتلاميذهم هؤلاء، وهم الذين سيعرفهم التاريخ في المستقبل، أو كان هذا القصر الممرد من أدب هذا القرن في القطر السوسي، والتاريخ إن أنصت لما يقول فإنه لا يمين ولايألت من قدر أي عامل حبة سمسم، ثم إنهم مع ذلك قيمون على بعض التواريخ المؤسسة على الأدب كتاريخ ابن خلكان، فإنهم مولعون بمدارسته بينهم في المجالس الخاصة. وكذلك كل ما امتدت إليه أيديهم فوصلته من كتب الأدب وما إليها، فإنهم يهشون إليها هشاشة المقرور الخصر للنار المشبوبة، فتجدهم حين برز تاريخ الوسيط في أخبار شنجيط يحومون حوله، حتى اقتطفوا أزهاره، وبالجملة فلهم همة طماحة إلى الأدب من أي جهة أطل.

وأما التمكْلجتيون فلا أخال إلا أن التصوف الذي ظلل على أستاذيها أحمد بن محمد والحسن من بعده، قد حال دون هذا العلم، وجدير بكل من يتصوف أن ينفض يديه منه إن كان أتاه ذلك، قبل أن يتمكن منه تمكنا يصرفه كيف شاء، وذلك ما وقع للأستاذ محمد بن مسعود فإنه وإن أقبل عليه إقبالا كليا قبل أن يتصوف، فإنه لم يبلغ منه الرتبة التي يستقر من نالها، بحيث لا يتزعزع بعد يمينا أو شمالا، فما تصوف حتى نفض منه يده، ونبذه ملاحس البقر أولادها

والفضل كل الفضل يرجع في تأسيس هذه الحركة الأدبية بـ (إلغ) إلى شيخ الجماعة الالغية، ومؤسس المدرسة محمد بن عبد الله الذي كان يقرض قرضا، هو إلى شعر الفقهاء أقرب منه إلى شعر الأدباء، ولكنه مع ذلك مولع به عند كل مناسبة، فتأثر تلاميذه خطاه، فنبغ منهم الطاهر بن محمد الافراني شاعر (سوس الأقصى) على الاطلاق، بل شاعر (المغرب) قاطبة بين أهل طبقته، كما حكم بذلك الشريف ابن زيدان، حكما يشهد به من رأى منازعه في شعره وتصرفه، ثم يقرنه مع البلغيثي والقاضي عباس بن ابراهيم ومن مر

معهما في قَرَن. فإن من قايس هذه المقايسة ووزن بالقسطاط لا يلبث أن يدعم حكم ابن زيدان، ويأتي بما لا يمكن استينافه بعد، وسترى هذا فيما يرد عليك، فكن مع الحق حيثما دار، ولا تشطط، والله يهدينا جميعا إلى سواء الصراط

ـ العــــروض

المتن المشهور في هذا العلم هو «رمزية الخزرجية» وبها يدرس هذا العلم في جميع مدارس (سوس) التي تميل الى الأدب، وربما درست كذلك في مدرستي إلغ وإفران، وإن كان المشهور الذائع «متن الحمدونية» تأليف الأستاذ حمدون ابن الحاج، وقد ألفها باسم مولاي سليمان، حين كان يعلمه بسجلماسة كما أظن، والحمدونية هي قطب هذا العلم عندنا، ولكن هناك حقيقة لا بد من تبيينها، أقرا كثيرا قصائد بعض السوسيين فيؤتى لي أنهم لا يتقنون هذا العلم كما يتقنون غيره من العلوم، وكان بعضهم اغتر بالقول المأثور(الشعر بالسجية لا بالخزرجية)، وفهم منه أنه لا يحتاج الشاعر إلى هذا العلم، بل يتكل على سجيته، وليس ذلك هو المقصود، بل المقصود بهذا القول أن الانسان مع اتقانه لعلم العروض لا يصيره ذلك شاعرا، ما لم تكن له سجية فياضة، وهذا حق، فلعل ذلك البعض يراجع نفسه، ويتثبت في الأوزان، فكما أن الشعر وإن كان معناه جيدا فاضت به السجية، لا يكون قريضا حتى يوزن بميزان الخليل بن أحمد، كذلك الموزون وحده بلا أثر سجية لا يحمل إسم القريض المقبول:

إذا أنت لم تعرف سوى الوزن وحده   فقل أنا وزان وما أنا شاعر

ـ التفسيــــــــر

دخلت مرة سنة 1332 هـ إلى مدرسة (المعدر) أجول فيها، فإذا

بأستاذها أحمد العيني يدرس التفسير للطلبة، فمررت وأنا أظن أن ذلك أمر عادي، وأن تلك الدراسة مثلها مثل الدراسة في الأجرومية والمرشد، ثم لما حططت ركابي بـ (مراكش) و(فاس) صرت أسمع أن قراءة التفسير ما أحياها إلا الأستاذ الكبير أبو شعيب الدكالي، فتذكرت ما كنت رأيت في (المعدر)، فقلت إذن عندنا في (سوس) أشياء تدرس، وهي غير محظورة كما حضرت في الحواضر وما إليها، ثم صرت أسأل فأجد أن الأدوزيين وغيرهم يدرسون التفسير فينة بعد فينة، وربما اتخذوا لذلك دروسا خاصة في كل يوم من رمضان، فيدرسون ثمنا في كل مجلس

هكذا وجدت دراسة التفسير شائعة، وكل من أقول له أليس هذا بغريب ؟ فيقول أية غرابة فيه، وذلك كله علم متوارث، فقد وجدنا أشياخنا من السوسيين الذين أخذنا عنهم، يدرسون التفسير كما يدرسون الألفية، ثم إن ذكرت له الاسفاف الذي وقعت فيه الحواضر وما إليها، يحصل له بدوره عجب عجاب، ثم إذا زدت له أن الحضر أحيط بسياج من خوف موت السلطان، لا يلبث أن يغلبه الضحك حتى تبدوِ نواجذه، فيكون هذا الضحك وفيه ما فيه آخر هذه المحاورة.

غير أن التفسير وإن كان يدرس في غالب مدارس (سوس) أو نحو نصفها على الأقل، فإن الأساتذة الالغيين لا يأبهون بدراسته دراسة عامة، وإن كانوا في محافلهم ومجتمعاتهم الخاصة يتدارسونه، ولا أدري لأي شيء شذوا في هذه القضية عن غيرهم، مع أن لهم سبقا إلى كل خصل، وتراميا إلى كل غاية، وتعاليا إلى كل سماء، ولكنهم مع ذلك يكثرون مطالعة التفاسير، فهذا الأستاذ بلقاسم التجرمونتي يولع بمطالعة روح البيان وروح المعاني وهما ما هما، وهذا أستاذنا الطاهر بن محمد قد جرت بيني وبينه مذاكرات حول آيات حين زارنا بـ (مراكش) في شعبان 1254 هـ، فأفاض علي مما يتعلق بتلك الآيات، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كان طالع من التفاسير كثيرا، وما مثله من يفرط في هذه

الناحية وهو ما هو، أطال الله عمره وأعلى شأنه، وبتفسير الجلالين يدرس القرآن من يدرسه ممن ذكرنا.

ــ الحــــديـــــث

حقا قوضت خيام هذا العلم، وعريت أفراسه ورواحله منذ القرن الحادي، فلا محاولات الشيخ مرتضى أحيته، ولا تلاميذ إدريس العراقي، ولا مؤلفات ابن الزرقاني ولا النفحات اليمنية التي تهب من تآليف الأمير الصنعاني والامام الشوكاني، ولا جهود رضوان الجيدي وأصحابه الفاسيين قدروا أن ينفخوا فيه الروح، فقد أجمع الناس على أنه طحن وغربل وأكل، ولا يبقى بعد المأكل إلا أن تطحنه المعد، فيدخل في خبر كان، ويسيل به «بُوخرارْب» ــ كما يعبر بعض أشياخنا المفكرين ــ ولم يبق منه عند الناس إلا تبركات يأثرونها فيما بينهم، ومسرودات في رمضانات السنوات صارت عادة متبعة، وينسبونها للامام ابن غازي، فإن نبغ بعض من يتطلع إليه فلا يعدو أن يحوم حول كتاب خاص من كتبه، لا يعدوه، ثم أنه يبحث فيه كما يبحث في كتب الأجاهرة حول المختصر، فلا يقدر أن يخوض العباب سنبحا، ولا يعطى القوة التي يتأهبها عن القبول والرد، أو يكون له بها اطلاع واسع، فدام ذلك في الشرق كله والمغرب الأقصى من الشرق الاسلامي في هذا المقام، ثم انبعث مبشرات أخيرا كان أستاذنا الشيخ أبو شعيب، والأستاذان الكتانيان محمد بن جعفر ومحمد بن عبد الكبير ممن برزوا حول ذلك بروزا جديدا، اقتبسوا بعض بذوره من (مصر)، التي صارت تسترجع حياة هذا العلم شيئا فشيئا، هذا ما وصلت طلائعه إلى (الحمراء)، وأما (سوس) فإنه لا يزال عند التبرك بحديث البخاري في الرمضانات، ويسرد سرد دليل الخيرات وربما يوقف عند بعض أحاديث، فينظر ما قال فيه القسطلاني، ثم يستمر الساردون من جديد، ثم عند الختم تقام حفلة صغيرة في المدرسة، وربما تقام في بعض المدارس حفلات متسعة،

يستدعى لها الناس الجفلى، وأثر ذلك بين في المواسم التي تضاف إلى البخاري في أحواز (مراكش)، فبخاري سيدي أحمد أوعلي بـ (مزوضة)، وبخاري بوعنفير، وبخاري سيدي أبي عثمان أشهر من أن توصف، وما كان الناس يجتمعون فيها أصالة، إلا لحضور الختمات المسرودة من البخاري، ثم اتسع ذلك حتى صار موضعا للبيع والشراء، وبقى كل موسم منها يحمل إسم البخاري، كما وقع للعبيد الذين عاهدهم مولاي إسماعيل على نسخة «البخاري» أن يتعاونوا معه على حفظ الأمن بـ (المغرب)، وعلى مناصرته على كل من ناوأه، فأضيفوا إلى البخاري هم وكل من جاء بعدهم من عبيد الحكومة إلى زمن الاحتلال.

إذن قاعدة البخاري في مدارس (سوس) إنما هي السرد فقط، مع تفسير قليل لبعض أحاديث بعد مراجعة القسطلاني، إلا أن الأستاذين علي بن عبد الله الالغي وبلقاسم التجرمونتي، لم يسلكا في البخاري في الرمضانات هذا المسلك، ولا يسردان فقط، بل يتبعان الأحاديث دراسة كما يدرس المختصر، فلا يتمانه إلا في سنوات كثيرة، هكذا حكى لي تلاميذهما، وأظن أن الذي يسهل ذلك على الالغيين معرفتهم السيرة النبوية معرفة تامة، لأنهم يتدارسونها بينهم ومطالعتهم للاصابة ولا شك أن مفتاح الحديث لمن أراد أن يخوضه إنما هو اتقان السير ومزاولة رجال الصحابة في معاجمها.

هذا، وليس في (سوس) لكتب الحديث الأخرى ذكر في الدراسة، لا سردا ولا مطالعة، إلا ما كان من الشفاء والجامع الصغير وصحيح مسلم فإنها قد تروى، وربما يدرس بعض الأساتذة الشفاء، وأما الثاني والثالث فإنما يراجعان فقط، والأحاديث الضعيفة والموضوعة تروج كثيرا في سوس، كما لاتزال تروج إلى الآن في جميع العالم الاسلامي، إلا عند بعض أفراد قليلين من المتنبهين لضررها، فيتثبتون ويراجعون كل حديث على حدة، كأستاذينا الحافظ الحجة مولاي المدني، والقاضي ذي الفكر الثاقب السائح الرباطيين، وشيخ الاسلام

أبي شعيب الدكالي منبع نقطة صغيرة صارت إلينا من هذا العلم، والناقب البحاثة أبي الاسعاد، وبعض أفراد تصلنا أخبارهم من (مصر)، كالأستاذ سيف الاسلام صاحب المنار المرحوم، وأحمد شاكر، والطهطاوي، ولكن الحقيقة أن هذا العلم لم يحي بعد إلى الآن، ولكن طلائع حياته وتباشر فجره مما ينتظر عن قريب.

وبعد، فهذه هي العلوم التي لها رواج في القطر السوسي(1)، وتدرس في المدرسة (الالغية)، وقد تتبعناها وبينا المتون التي بها تدرس، ونقول الآن ان علم التاريخ ميت عندهم لا يوبْه به، ويستهزأ ممن يتطاول إليه، ولا يزالون يعتقدون أنه علم لا ينفع، وجهل لا يضر، ولذلك تجدهم لا يعتنون بما يمر بين ظهرانيهم من علماء أعلام، وصلحاء يستسقى بهم، فقلما تجد من يقيد زمن وفاة عالم، وإن كان من قريته، فطمست بذلك أخبار طلية، وحوادث جليلة، وفوائد نفيسة، ومباحث غريبة، بل ومؤلفات قيمة، وآداب وقصائد ورسائل هي غرر للأدب وحجوله، فذهبت جهود الآباء في عدم اهتبال الأبناء، فهؤلاء الجشتيميون والحاج ياسين، والأدوزيون والحاج الحسين الافراني ومحمد بن إبراهيم التمنارتي، ومحمد بن عبد الله وأخوه سعيد الأساكين، وعلماء (تلات أوكْنار) والحسين بن الطيفور، والعلماء الصوابيون والحامديون والأسغركيسيون والتمليون والتمكْلجتيون والأوكْليون والتمنارتيون، وهؤلاء كلهم ذهبت آثارهم، وانمحت أخبارهم، كأن لم يحملوا قلما ولم يحرروا رسالة، ولم ينشئوا قصيدة، ولم ينشئوا مقالا، ولم يجمعوا مؤلفا، فهم أبناء الأمس والعهد بهم قريب. ولكن التفريط وصل بالسوسيين هذا المقام، وقد ما ندَّد عليهم بذلك صاحب «الفوائد الجمة» الذي خلف لنا في فهرسه هذا أخبارا كادت تضيع لولاه، وقد كان الحضيكْي أراد أن يؤدي في ذلك الفرض الواجب ولكنه لم يستوف مع أنه

1) معلوم بأن المؤلف رحمه الله قد تطرق إلى ذكر العلوم التي يعتني به السوسيون في كتابه الموسوم سوس العالمة المطبوع طبعة ثانية غير أن ما هنا يكمل ويتمم ما هناك خاصة بعض الاضافات التي يحاجها القارىء المحقق. (الناشر)

تيسر له أن يقوم بأكثر مما قام به، مع عدم اعتنائه بالوفيات ولو تقريبا، وكتابه بكتب الأدلة لَبْين يدي السواح أشبه منه إلى كتب التاريخ فيما يتعلق بكثير من رجال (سوس)، لا من غيرهم الذي قد يوفى، ولكنه مع ذلك أفادنا ما كنا نجهله لولاه وقد كفى، وأما «بشارة الزائرين» للكرامي، وكتاب «المناقب» للبعقيلي، و«الوفيات» للرسموكي، فإنما هي تطيئها أسماء فقط، من غير أن يتعرض فيها لأحوال المترجمين، وقلم الجشتيمي صالح للتاريخ، ولكنه في كتابه «أصحاب الحضيگي» لم يتوسع كثيرا(1)، وما راء كمن سمع.

هذا كل ما عندنا في (سوس) من التواريخ العامة، زيادة قليلة على بعض فهارس، وهي تدل دلالة واضحة على ما قال القاضي التمنارتي في السوسيين، على أننا نحن الآن جئنا بدورنا، فليت شعري هل يقدر لنا أن نقوم بهذا العبء خير قيام ؟ أم يكون المتأخر كالمتقدم، فاللهم يسر ولا تعسر

ـ 5 ـ كيفية الدراسة العلمية

يسود على الدراسة في مدارس (سوس) النظام والتدرج، من الأصغر إلى الأوسط إلى الأكبر، فتكون في ذلك مراتب تقارب الطبقات والصفوف التي تكون في المدارس الحديثة، وإليك البيان

ذكرنا فيما تقدم أن الذي يدير المدرسة وتتمشى تحت نظره الوحيد، هو أستاذها الذي يشترط فيها عن إذن القبيلة، فهو الذي يقبل من شاء من الطلبة ويصرف من شاء، ويطلق عليه (الفقيه)، كما يطلق على إمام مسجد من مساجد القرى (الطالْبْ)، كما ذكر ذلك في مبحث القرآن، فأول ما يأتي تلميذ مبتدىء فإنه يفتتح له بيده في لوحته ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ويكتب ﴿الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم﴾، ثم يكتب له ﴿ الكلام

1) كل هذه الكتب الأربعة الأخيرة زيادة على كتاب «اليعقوبيون» للأدوزي، و«روضة الأفنان» للاكُراري، و«تحلية الطروس» لعلي بن الحبيب السجراتي، وكتب أخرى قد قام مؤلف هذا الكتاب بتحقيقها وتهيئها للطبع لأنها كانت معتمده في كتابه الكبير «المعسول»، ولهذا السبب سنصدرها قريبا تباعا تحت إسم «سلسلة مصادر المعسول» وللتوسع في محتويات هذه الكتب يرجع إلى كتاب «سوس العالمة» في مبحث مراجع التاريخ السوسي .(الناشر) .

هو اللفظ المركب المفيد بالوضع﴾، ثم يقرره له بيده أو يأمر من يعينه من كبار التلاميذ أن يقرروها له، والمقصود هنا بالتقرير ما يطلق عليه في الحواضر (التشقيق)، لأننا نطلق عليه في هذه البلاد (التقرير)، ثم ان هناك من يبتدىء مثله تمشيا معه، وإلا فيقرأ درسه وحده، عند الأستاذ أو عند أحد معينيه، وهكذا فيقرأ الأجرومية وحدها في اللوحة، ويحفظ جميع الحقائق، وهي أطول من ليالي الشتاء، ويملأ ذاكرته بأبيات مختلفة تنفعه في المستقبل لأنه كان لا يفهمها الآن، فإذا أتم الأجرومية بعد ثلاثة أشهر أو أربعة يعيدها ثانيا ولابد، ولكن هذه المرة يقرأ معها الجمل، فإن أتمها ينتقل إلى الزواوي، وقد أتم الأجرومية المرة الثانية، وفي كل ذلك يلزم بعرض كل ما كتب في لوحته، كما كان أيام قراءته للقرآن، وكثيرا ما يسلك فقهاء المدارس مع هؤلاء المبتدئين إن كانوا لا يزالون لم يتجاوزوا ذلك المسلك العنيف الذي مر لنا تحت عنوان (تأديب المعلم) في مبحث القرآن، ثم ينتقل إلى المبنيات واللامية فيحررهما أيضا، وكل ذلك بتفهم ومعاركة، وكثرة امتحان في الاعراب والاستشهاد على كل شاذة وفاذة، بما درسه من الأجرومية والجمل والزواوي والمبنيات واللامية

هكذا تمضي السنة الأولى غالبا، وهو غير مشتغل إلا بهذه المبادىء العربية فقط، بهذا التدرج الذي ذكرناه، وبالكتب في اللوحة، ولا يتناول شرحا لهذه المؤلفات إلا بقصد التمرُّن على قراءة حروف المطبعة واللامية لا تكفي فيها المرة الواحدة، بل تعاد حتى ترسخ بكل تلك التفاصيل والشواذ التي في بحرها الكبير، وهي كلها منظومة في شرح لبعض السوسيين كتبه على اللامية، فعندئذ فقط ينتقل إلى مبادىء الفقه فيفتتح المرشد، والحالة هي تلك المتقدمة يعرض كل شيء على الأستاذ، ثم إذا أتمه وقد حصله أو يعيده حتى يحصله، جاءت نوبة الألفية والرسالة وهو الطور الثاني، وقد كان قبل عند افتتاحه الأجرومية يكتب دائما ما تيسر في الألفية فلا يأتي هذا الحين الذي وصلناه الآن حتى يتمها حفظا، وعيب كبير في المدرسة (الالغية) إن كان الانسان افتتح الألفية شرحا ما لم يحفظها قبل، ويعد ذلك ممن فعله على أنه لم تشرق

بدايته فكيف تشرق نهايته، ثم تفتتح الالفية في اللوحة، والشرح الذي يعتمد عليه المبتدئون البهجة للسيوطي والمكودي، فيحفظون كل شواهدهما، مع تمرنهم على التلاوة في المكودي مناوبة، اليوم عند هذا والغد عند الآخر، هذا للمبتدئين فقط، وأما الشادون الذين كانوا قرأوا الألفية مرة قبل هذه، فإنهم يسردون الموضح، وقد جرت العادة أن تلك المتون الصغار المتقدمة يتمشى فيها المبتدئون وحدهم، ومن كان شاديا لا يدخل معهم لئلا يشوش عليهم أولا، ولكي يألفوا الاعتماد على أنفسهم ثانيا، لأنهم يجعل لهم الأستاذ وقتا يعيدون فيه بالمناوبة أنصبتهم ولابد، فتجد من عنده النوبة يسأل هذا وذاك عن كل مسألة، أو يستدعي أحد النجباء فيكررها له حتى يعرفها حق الفهم، هذا كله في تلك المتون الصغار، وأما الألفية والرسالة فلا بأس أن يمتزجوا مع غيرهم، غير أن الشادين مع ذلك لهم نظام، وهؤلاء يسيرون بنظام آخر، لأن أولئك يتناوبون على مطالعة نصاب الألفية إما بعد العصر أو بين العشاءين، فيأتي من عنده النوبة، فيلقي ذلك الدرس الذي سيقرأه الأستاذ غدا، بما أوصلته إليه مداركه، وقرناؤه مستديرون به ويجاذبونه الأبحاث ويثيرون الاشكالات، وقد تهيأ لكل ذلك لقتله الدرس معرفة وخبرا، خوف أن يتخد ضحكة، فَتُعْرَب كل الشواهد، ويبين الشاهد فيها والقائل يأتي بالمسألة النحوية، ويذكر ما فيها أيضا، ويقرر بهجة السيوطي والموضح ثم يسردان، هذا كله يقع عند المطالعة بين الطلبة الشادين وأولئك المبتدئون حاضرون، وفي الغد يقرأ الأستاذ الدرس، والبهجة بيده وحذاءه الشراح المتيسرة، فيتتبع البيت بعد أن يقرره للطلبة، ثم كلما تمت مسألة يسرد أحد المبتدئين المكودي، ويسرد أحد الشادين الموضح بالمناوبة، ثم ينتقلون إلى مسألة أخرى هكذا حتى يتم الدرس، وعن يمين الأستاذ تلميذ يسمى (القارىء)، وهو الذي يفتتح للأستاذ إن قال زِدْ يا سيدي، فيعلن له برأس النصاب، ومن المعتاد أيضا أن يتغنى بما يقرأ من الألفية بغنة خاصة قبل أن يفتتح الدرس، فبمجرد ما يدخل التلاميذ ويجلسون يبتدىء

الأستاذ بهذه الأبيـات

أعــــوذ بالله من الشيطـــــان ذاك الـــــــرجيم عدو الانسان
أول ما نقـــــــول بسم الله وخير ما نذكــــــــر حمدا لله
محمــــد بشر لا كالــــبشر بل هو كالياقـوت بين الحجـــر

ثم ترجز معه الأبيات التي كان الطلبة طالعوها، ثم يقول الأستاذ بعد السكوت زد يا سيدي فيعلن له القارىء براس النصاب فيقرره كما ذكرنا، ثم إن انتهى الأستاذ إلى المحل الذي وصلته مطالعة الطلبة قبل، يقول له القارىء ﴿وصلى الله﴾ بهذا اللفظ، وذلك دليل على انتهاء ما طولع، فيدعو الأستاذ فيخرج الطلبة، وهكذا يرجز كل منظوم مما كان رجزا يفتتح بتلك الأبيات المتقدمة، وما كان طويلا كالجمل يفتتح بهذه الأبيات

له همم لا منتهى لكبارهــــــا وهمته الصغرى أجـل من الدهـر
له راحـة لو أن معشار جودهـا على البَرِّ كان البَرُّ أَنْدَى من البحر
عليــــه صلاة الله ثم سلامــــه وآل له مع صحبه السادة الغر

وما كان بسيطا مثل اللامية فإنه يفتتح بهذا (محمد بشر وليس كالبشر)

وكان اعراب البيت يؤخر حتى يتم تقرير النصاب، على عكس أهل الحواضر، كما أن الطلبة هم الذين يتتبعون الاعراب بتثبت، والأستاذ ينطق لهم بالكلمة التي يراد إعرابها، لا أن الأستاذ هو الذي يعرب، والطلبة إليه شاخصون، كما يقع غالبا في مجالس المدن التي شاهدناها، ثم من العادات المستمرة أن يخصص الصباح أولا للمختصر فيفتتح القارىء، فيمشي الفقيه يتلو الدرس إلى نهايته، التي يقول له فيها القارىء ﴿وصلى الله﴾، ثم يرجع فيقرر للتلاميذ في ألواحهم، ثم يتتبع الصور صورة صورة، وفي كل صورة قررها يسرد عليها الدردير ويراجع الدسوقي، ثم إن حصل إشكال يراجع الزرقاني والخرشي وحواشيهما وهكذا حتى يتم الدرس، وقد كان الطلبة طالعوا أيضا

المختصر على الكيفية التي قدمناها في الألفية، والغالب أن يكون ذلك بين العشاءين، وهو الذي جرت به عادة مدرسة (إلغ) وما إليها، ثم بعد أن يتم درس المختصر تقرأ الرسالة ثم التحفة ثم المقامات. والغالب أن تقرأ الألفية قبل العصر، وربما يكون درس آخر كالزقاقية أو التلخيص قبل الأصيل إن لم تكن صباحا، أو درس من دروس المبتدئين، والدراسة العامة كلها لا تكون إلا في اللوحات، ويحفظ ما يكتب فيها إن كان لابد من حفظه، أو يقرأ ما شاء الله حتى يرسخ معناه إن كان مما لا يعتنى بحفظه، ولا يترك اللوحات إلا من تفوق وقرأ الألفية ثلاث مرات فأكثر، والمختصر أيضا كذلك، فحينئذ يرخص له في الاقتصار على الكتب، وأما من سواه فلا، ثم لابد من كتب كل الشواهد والقيود والتقارير المفيدة وأبيات القواعد، ومجمع النظائر في هذه الألواح لتحفظ، وهم حقا من يصدق عليهم في كل ما درسوه مثل هذه الدراسة، قول الشافعي

علمي معي حيثما يمت يتبعني ... صدري وعاء له لا بطن صندوق
إن كنت في البيت كان العلم فيه معي ... أوكنت في السوق كان العلم في السوق

فلهذا التمكن ولهذا النظام العجيب ولهذه المعاركة، تجد السوسيين في كل ما درسوه أرسخ الناس، فلا يحتاج من قرأ مثل هذه القراءة أن يطالع ما سيقرره للتلاميذ، ولا أن يراجعه إن كان أستاذا، لأن كل ذلك كأصابع يده، ومن شك في هذا فعليه بأعمال الرحلة ليشاهد بعينيه، وما بعد العيان من بيان، وناهيك بمن يعملون كل ما تقدم من المعاركة والحفظ حول الدرس، ثم يعيدونه أيضا من بينهم إعادة تقرير واستجلاء واستظهار، حتى ان المبتدئين يؤاخذون دائما بالتوطئة، وهي عبارة عن إعادة كل ما حفظ في الدروس المتقدمة، من التقارير والشواهد وأبيات القواعد، وإعادة معنى البيت، فتجد جماعة المبتدئين يعيدون مثلا من أول الألفية إلى (النائب على الفاعل) في ظرف ثلاث ساعات أو أربع، من غير أن ينخرم لهم شاهد، أو يشذ عنهم بيتا أو

معنى، لكثرة ما يكررون ذلك كل ليلة، ثم إذا أطال عليهم ذلك، يتركون من أوله أبوابا بالتدريج بقدرما يزدادون آخرا، فلا يصلون باب (فعل التفضيل)، حتى يذروا ما قبل (النائب على الفاعل)، وهكذا حتى تتم الألفية، ولكن هذا الحزم العجيب قلما يوجد إلا في المدرسة (الالغية) و(الافرانية)، وقلما يتتبع أيضا من العلوم بمثل ذلك، إلا العربية والفرائض والحساب، وقل أن يكون لهم في المختصر مثل هذا الحزم، وأظنهم لو كانوا يعتنون أيضا بالفقه هذا الاعتناء العجيب، لأخرجوا لنا من يبذون المسناوي، وإضرابه في الاستحضار، وأخال أن هذا الاعتناء يعيي المبتدىء والشادي، ويضجره بعبئه الثقيل، ثم إذا ملك أمر نفسه أطلق نفسه على شجيتها، وأرسل فهمه على عواهنه، ولكن مع كل هذا لا أزال أراهم حتى في الفقه ذوي جِدٍّ، وحسبك أنهم يطالعونه أولا مناوبه، وصاحب النوبة لابد أن يلقي عرق القرية قبل أن يستعد، ثم يكتبونه في اللوحات ويقررونه، ويقرأون ما كتبوا ما شاء الله، ثم يعيدون ذلك أيضا مرات أخرى، فهذا كله قل من يقوم به من أهل المدن، وهذه المطالعة بين الأقران وتلك الاعادة بينهم مما يشحذ الذهن، ويستجمع الفكر ويمرن الطالب للأستاذية، فلا ينتصبُ في إحدى المدارس حتى يعركه الدهر بأقرانه، عرك الرحى لثفالها، حتى يدركوه، وأما أن يرجئوا ذلك إلى وقت تدريس الأستاذ، وإن حضر بينهم بعض من فيه هوج وطيش، فربما تقوم مضاربة فتثور الكراريس، ويصطدم القنديل التي يستحضره صاحب النوبة، وتدور ملاكمة ومصارعة في الظلام قلما تحمد عقباها، ولهم في ذلك غرائب مأثورة، وقد يتمارض صاحب النوبة خوفا من أقرانه، حيث يكون باعه قصيرا، لأن كل من قرأ الألفية والمختصر مرة مرة، لا يمكن أن يسامح في هذه المطالعة ولابد أن ينخرطْ في نوبتها مرغما، ويحكون عن الأستاذ العربي بن محمد السمكني رحمه الله، أنه كانت عنده مرة نوبة المطالعة فكأنه راجع الدرس فأكدى فيه، ولم يتبين من ظلمته أي قبس فتمارض، فذهب إليه الطلبة، وقد أدرك بعض الداعرين منهم ما وقع فيه، فاقترحوا عليه أن يكووه، فمالوا عليه بالكي حتى

شووا كل أجنبيه، ثم قالوا له   إننا أوقفنا النوبة حتى تبرأ، فهذا ما جره إليه تمارضه، ثم لم ينفعه ذلك شيئا، ويحكي البونعمانيون أيضا عن بعضهم كانت فيه نوبة الألفية ومبتدأ النصاب (وصفة صريحة صلة آل) فقررها لهم على ظاهرها مطالعة، فقال لهم: أظهرت الصورة، فقال بعضهم: نعم قد ظهرت، فقال لهم   لعن الله من ظهرت له، إلى غير ذلك من حكايات مأثورة، وإنما قصدنا أن هذه المعاركة خير مِسن للنجيب، ثم إن الالغيين فيهم عادة أخرى محمودة لا يمكن أن يلقى المبتدىء أو الشادي من كان فوقه علما إن ألقى عليه مسألة، إما أن يجيب عنها وإما أن يستفيدها، وقد يقع ذلك في المجالس الحافلة بالطلبة وبغيرهم، فقد استحضرت أن أستاذي عبد الله بن محمد ذهبت إليه مرة بوضوء عند الظهر، وكانت عندي نوبة تسخين الماء للطلبة، وقد كان مَطرٌ يرش، فقال لي   هل كان من مطر ؟ فقلت له نعم، ثم قال لي   أعرب هذه الجملة، فوقعنا في أودية أخرى، فجاء بحث من في أي محل تزيد ؟ هناك من قال إنها تزيد في المثبت، فخرجت بفوائد لم أكن لأخرج بها في الدرس، واستحضر مرة أخرى أنه كان عندنا في الدار ليلة ممطرة، مع أحمد بن الحاج إبراهيم الغشاني و(الميزاب) يثر بماء السطح، فجرى ذكر الميزاب فسألني أهو عربي ؟ وبعد أن ذكر أنه عربي، سألني أمشتق أو جامد ؟ وبعد أن عرفنا أنه مشتق، وجاء الاستفسار أيضا أي مشتق هو، وبعد أن عرفنا أنه آلة، جاء سؤال آخر ما أصل الكلمة، وما مضارعها، وما أمرها، وما إسم فاعلها، وما إسم مفعولها، وما مصدرها، وفي كل جواب لابد من بحث عن دليل إما في اللامية وإما في الألفية أو منهما معا، فلم أتملص منه حتى كادت نفسي تذوب، وجازاه الله خيرا، وهذه العادة في الالغيين هي التي تذر تلاميذهم سيوفا مرهفة براقة، ويعابين مضمرة طفارة، لا يهابون أحدا ولا يسلمون إلا للفريد الذي لا يعلى عليه

ذلك هو علم (سوس) التي ورثه عن القرون الماضية، وتلك معاهده التي أسست في سبيل بثه، وتلك كيفية تدريسه، وذلك كله اليوم يتقاصر ظله ويذوى نبته ويغيض منبعه، وشمسه توذن بأنها على أطراف النخيل، وقد عريت أفراس الهمم ورواحلها، حتى ليؤتّى للمتأمل الذي يعرف كيف يستنتج من المقدمات أن الحالة العلمية آئلة لا قدر الله إلى الاضمحلال، إن لم تؤيَّد بنفحة أخرى جديدة، وبرجال آخرين جدد، يعلمون ما يتطلبه كل زمان، وما ينتعش به كل جيل، ولكن أين تلك النفحة وأين هؤلاء الرجـال ؟

الباب الثالث :

مبحث الديانة

كانت البداوة هي الأصل الأصيل في الدين الاسلامي، وبين ظهرانيها نشأ، وفي حدها البهيج يفع، حتى كان جلدا قويا يقدر أن يصرع بعضلاته القوية المتينة الأديان الأخرى، فكانت عاداتها هي المعتبرة كأساس له، لما فيها من البساطة أولا، والدين الاسلامي وتعاليمه ومبادئه كلها بسيطة سهلة، ولما رزقته من أن تنبت بذرتها الأولى، في تربيتها في بادية (الحجاز) ثانيا، ثم أقام أولئك البادون بأنفسهم يفتحون العالم بأخلاقهم، التي تهذبت وترقت بهذا الدين الحنيف، ويهاجمون مدنية الفرس والرومان والقوط، مهاجمة من يستيقن أن له الفوز الأخير والنصر في الختام، وعدا وعدوه بوساطة دينهم الذي ما جربوا عليه كذبة، ولا وقعوا منه على إخلاف وعد، فترى هؤلاء البدويين في قصور المدائن ودمشق والأسكندرية وطليطلة، لا يعرفون من المدنية إلا كما يعرفه السوسي الجبلي اليوم من أدوات الحضارة الفاسية ومقتضباتها، حتى ان منهم من وقع على الكافور في إيوان كسرى فظنه ملحا، وهل يعرف في باديته من الأبيض الشفاف إلا الملح، ثم زخرت تلك الموجة البدوية حتى عانقت المغاربة بني الموجة الأولى، التي يحكي بعض المؤرخين أنها زخرت قديما، من تلك الجزيرة الناتقة التي لا يحوم بها عقم إلى الآن، فتلاءمت الموجتان فآمتزجت مياههما، فآقتبست هذه من تلك صبغتها وقوتها، فما مرت إلا عقود من السنين حتى كانت هذه في تلك الصبغة أكثر رونقا، وأشد تأثرا من الأولى، فيما ماجت من جزيرة العرب من أجله، فكان المغاربة بعد أن عرفوا هذا الدين الحنيف، وأدركوا ما فيه من الطمأنينة والسكينة، جعلوا أنفسهم أطنابا وأوتادا وأعمدة بقبته التي تناطح الآفاق في ضفاف هذا الأطلنطيكي، فكان من عرف منهم من ذلك الدين ما عرف، يميل إلى بني عمه من الذين لا يزالون في جهالاتهم الأولى يعمهون، بالتعليم والتبشير والانذار، حتى زحفت إليهم الخارجية المتزمتة، فخلبهم ما لها من بصيص رونق، فقالوا وقعنا على اللب، وفزنا بالسر المكنون، فعضوا عليها بالنواجد، ثم لما طلع عليهم الفجر الساطع برشيد ومولاه إدريس، وقد أفلتا من إشراك العباسيين، تلقوا ولد النبي ﷺ، كما يتلقى عرافة الأوسي

راية المجد باليمين، فآنتظموا حوله، وجعلوه إماما وسلطانا محكما في أرواحهم وأموالهم وبلادهم، حتى أننا لم نتحقق وقوع ذلك حق اليقين بإجماع من المؤرخين، لوقفنا إزاءه ونحن نرسم علامة الاستفهام، كما يرسم المسيحي المتنسك علامة الصليب بين جنبيه، وقد دهمته داهية بغتة، وإلا فكيف يتصور أن يذهب رجل واحد شاب لم يسلخ بعد من عمره إلا عقدين ونصف الآخر، فيتلقاه شعب كامل فيسلم له الصولجان ويرفعه على العرش، ويقف أمامه ينتظر تنفيذ أوامره في نفسه وفي أولاده وفي أبناء عمه، اللهم ما ذلك إلا أثر هذا الدين الذي خالطت بشاشته إلى قلب، حتى تنسيه نفسه وماله وعصبيته، فتراه يصيخ للنبأة أسماعه، فمتى يسمع هيصة إلى الحق يطير إليها، طيران القطاة العطشى، بعدما تم ظمها إلى الماء

أسس إدريس بن عبد الله أُسس الديانة في بضع سنين، في بعض النواحي الشائعة التي لم ترتكز فيها ارتكازا ثابتا، ثم اقتفاه أولاده بما في طوقهم، وإن كان في نزعهم ضعف، والله يغفر لهم، ولم يكونوا مثل ذلك العبقري الذي طال على الناس بغربه، حتى ضربوا بعَطَنٍ

هذه أُسس قد تأسست، ولكن تحتاج إلى عبقري آخر يأتي بمعجزة أخرى، فيرفع على ذلك الأسس بناء شامخا تشاد منه القصور، وتتلألأ فوقه العلالي، وقد كان لـ (سوس) منذ العصر الادريسي نفحة دينية، مالت إليه بخصب في العقول، وازدهار في القرائح التي صانت فيها العلوم الاسلامية بصيصها، فقد ذكر لنا التاريخ أن المدارس العلمية التي هي عمد هذا الدين، قد وجدت في أول القرن الخامس، ويتقوى في ذهن المتأمل، أن لذلك سلفا قبل ذلك القرن، وإلا فمن أين اهتدى وجاج شيخ مدرسة (أُكْلو) إلى هذا العلم، لولا أنه وجد أمامه مثل ذلك، وأن سنن الكون تقضي أن لا تكون الشجرة إلا من البذرة، وأن لا تكون البذرة إلا من ثمرة شجرة قبلها، حتى تقف على ما يقطع لك ذلك التسلسل، وأنت واجده لا محالة، فلئن كان هذا القياس من

الاستصحاب المعكوس، وهو ضعيف عند الأصوليين، فإنه كما ترى مؤيد بسُنَّة الكون، فهؤلاء الأدارسون المؤسسون قد انقرضوا 313 هـ، وهؤلاء العبيديون والأمويون، ثم ملوك الطوائف في المغرب والأندلس قد تجاذبوا إلى المغرب بسياساتهم، التي لا يذكر فيها للدين ولا لتشييده مقصد، إلا ريثما يمهد به من لا ممهد له سواه، ثم يلقى ظهريا، ثم يقبل السياسيون هؤلاء على ما هم بصدده من خنق الأمة وجمع الحيايا

هكذا مضت هذه الفترة في القرن الرابع وربع الذي بعده، والدين يصرخ ولا مغيث له، ويستجدي ولكن في الآذان وقرا، فلا شك أن لاخواننا السوسيين في التألم للدين إذ ذاك مبلغا عظيما، وإلا فما لطلبة تونس الذين حلقوا على الأستاذ أبي عمران، لم يوجد منهم مثل ما وجد في الذين حلقوا على وكّاكْ بـ (سوس)، وما لابن عمران رجا من هؤلاء ما استياس فيه من الآخرين، أترى ترفة المدنية وحده هو العذر الوحيد لأولئك، وشظف البداوة وحده هو الحافز لذلك السوسي، الذي انتدب من حلقة وكّاكْ، أن جواب هذا السؤال ربما نجده في قول القائل (أنا الغريق فما خوفي من البلل)، اللهم ما ذاك إلا من اختلاف النفسات، ولا يمكن أن تنشأ نفسية الانسان إلا بنت بيئته، فإننا نرى اليوم أبناء المدنية الغربية، وما أدراك ما المدنية الغربية يتطوقون إلى المفاوز، طائعين في سبيل الاستعمار أو في سبيل التبشير، أفيكون من بحلقة أبي عمران أكثر ترفها منهم ؟

دالت الدولة المغربية بعزيمة العبقري عبد الله بن ياسين التمنارتي السوسي، فقام هو وخلفاؤه من بعده بتربية الأمة على الدين كما هو، وأطلقت أيدي رؤساء الدين، وقامت ديانة البادية على ساق بله الحاضرة، مع نشر العلم وتلقي كل ما أملاه العلم والدين حكما مسمطا لا يتعقب، فكانت الدولة المرابطية

حقا هي التي شيدت على أسس الأدارسة دعائم الدين في البوادي، ثم لما خلفتها الدولة الموحدية والمرينية مالت على تلك القصور بالزخرفة والنقش والتخريم، حتى كانت المدارس الدينية منبتة في كل أنحاء المغرب، وهل المدارس والمساجد إلا المنابع الوحدة للديانة، فإذ ذاك استطعنا أن نشاهد من تاريخ صقعنا السوسي الرعيل الثاني بعد رعيل وݣاك ومن إليه، فكان الكرسيفيون والتمليون والسملاليون والرسموكيون والحامديون من قادة هذا الرعيل، فكان منهم وعاظ يهدون الناس إلى طريق الخير وإلى سواء السبيل، ومشايخ طرق، وهم دائما إن كانوا من خصب الصوفية من أنفع الناس للأمة، ومن أقدر المرشدين على الاستحواذ على القلوب وصبغها بالدين الخالص والتوحيد الصافي، وقد كان من أعجب ما رأيت في ذلك العصر أن كل علمائه أفرغوا وسعهم في بث العلم، كما أفرغوا وسعهم في إرشاد العباد، وكانوا يعدون بأكثر من المئات، فكان منهم محدثون ومفسرون، والقائمون على الفقه خير قيام، واللغويون والنحاة، وما إلى ذلك مما ذكرنا في مبحث العلم، وهم مع ذلك هداة بأفعالهم قبل أقوالهم، أفلا ينجح قطر هذه بعض صفات قادته، و (سوس) إذ ذاك في القرن الثامن والتاسع أجمع. قد انقشعت عنه الحكومة، فكانت القبائل تحكم نفسها بنفسها، ومن المشهور عن (سوس) أن الحكومة دائما لا تستولي عليه إلا إذا قويت = وقد ألم بذلك ابن خلدون في تاريخه = وإلا فإن القبائل تضبط نفسها بنفسها، ولكثرة العلماء وللتربية الدينية التي تنشأ فيها القبائل، كأن رؤساء القبائل في مقام المنفدين وعلماء الدين في مقام الحكم، ولذلك يتعجب المطالع إن تتبع فتاوي السوسيين = وما أكثرها =(1) فيشاهد فتاوي لا تغادر لا صغيرة ولا كبيرة من كل ما يتعلق بالحياة من كل جهة جهة فيقول في نفسه: عجبا من هؤلاء المفتين كيف يتتبعون هذه الجزئيات الصغيرة ويستنبطون لها الأحكام، ولكنه إن أطلع على ما يقع في القبائل فإن عجبه سيزول، فكل قضية

---

1) للمؤلف رحمه الله كتاب في بعض هذه الفتاوي سماه «المجموعة الفقهية في الفتاوي السوسي» ويهيأ الآن للطبـــع (الناشر)

قضية لا يقدر أي إنسان أن يتكلم فيها، ما لم يستظهر بفتوى من عالم، فإذا استظهرها تخضع لها الرقاب ويسلم لها تسليما، هذا ما يقع في الأحوال الاجتماعيات، ومثله أيضا في الأحوال الشخصية، فقلما يفعل متدين أدنى فعل حتى يسأل عنه العلماء، ثم يطلب من المفتي أن يكتب له ذلك، فهكذا نظمت الفتاوي المكتوبة في ذلك العصر، وشعب هذه صفاته الاجتماعية والشخصية أفلا تحكم عليه بأنه متدين غاية التدين ؟ والسوسيون أصح من يأخذون الشهرة، لا يجوز للانسان أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيـه

ضرب البرتغاليون ضربتهم المشهورة في التاريخ، فكان من حظ رجال الدين السوسيين أن كانوا هم الذين تولوا مناجزتهم حتى أجلوهم عن (المغرب)، فدالت دولتهم السعدية التي كانوا يشغلون فيها أعظم المراكز التي يطيقون إدارتها، فكان السعديون هم الذين أخضعوا جبال سوس من جديد لحكومتهم هذه، فنظموا القطر السوسي وجعلوا على كل جهة قاضيا، وكانت لهم يد طولى في التدين، فكانت بذلك لوعاظ (سوس) ولمرشديه كعب عال، ومقامات وشفوف فكان محمد بن إبراهيم وأحمد بن عبد الرحمن التزركيني وعبد الله بن مبارك عبد المنعم وعياد المنبهي وأحمد بن عبد الرحمن التزرگيني وعبد الله بن مبارك الأقاوي ومحمد بن وساعدن وغيرهم من شيوخ القرن العاشر وأصحابهم وهم ما هم علما ودينا وزهدا وقياما بالدين كما هو، وقادة القلوب ومداهم النفوس، فاحتشد إليهم السوسيين أجمعين، فتكونوا بذلك جبهة متراصة من أصحاب الدين، مالوا بروحهم إلى كل ما بين أيديهم، فصبغوه الصبغة الدينية التي لما تنصل إلى الآن وقد مر نحو أربعة قرون، وقد كان (السعديون) يتصلون بهؤلاء اتصالا دائما، فرأوا منهم ما طأطأوا لهم به الرؤوس على رغم أنوفهم، بل كان منهم من تلمذ لهم، وجاء بجيشه حتى مثل بين يديه، كعبد الله الغالب بالله مع الشيخ ابن موسى، وناهيك بذلك تشهيرا وتنويها بالذكر، وأما ما كان

من عبد الله بن مبارك الأقاوي من اليد الطولى على هذه الجبال فشيء عظيم، وهؤلاء المذكورون كلهم نقاية، قد انتخلهم ذلك العصر من بين مئات من أمثالهم، ثم خلفوا من بعدهم آلافا مؤلفة من الأصحاب، ساروا على سننهم ومشوا على هديهم، فكانت (سوس) كأنما أفرغت في بوتقة واحدة، هذا والعلم والعلماء مع هؤلاء، وكثير من هؤلاء علماء أفذاذ مدرسون، متؤاخون مشتبكون يولون وجوههم وجهة واحدة، شأن الصادقين الصديقين

الفصل الثاني :

في ذكر مشهورات المدارس من بين القبائل وذكر من كان درس فيها من العلماء المشهورين من الأحياء [1] ومن الأموات

1) كان هذا إبان تأليف المؤلف لهذا الكتاب في سنوات منفاه بالغ. (الناشر) .

بســـم الله الـرحمن الـرحيـــم
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

1) المدرســـة الإِغِيلاَلْنِيَّــة

بقبيلة (مسكينة)، وهي قديمة كما يظهر، وقد كان هناك الفقيه يحيا، المدفون إزاءها مدرسا، على رأس القرن الماضي، وهو من أصحاب الحضيكي، ذكره الاكشتيمي فيهم ..

ثم لم نعلم أحدا آخر مـر فيها، حتى طارت شهرتها أخيرا بالحاج مسعود

2) المـدرســـة المَزَارِيَّــة

لم تكن بقديمة، وإنما استحالت مدرسة بعبد الله الركراكي، المقرىء للروايات، فهي قرآنية لا علميــة

3) المـدرســـة المُحمْدِيَّــة

أشهـر من عمرهـا الشريف، ثم أعْبُّو بعده، وهي بـ (هشتوكة)

4) المـدرســـة العُمْرِيَّــة

من (أيت عمْر) بـ (هشتوكة)، أشهر من عمرها أحمدْ أجّمْل .

5) المدرسة الأُخرِيبيَّة الهشتُوكِيةَ

مر بها العلامة مبارك البعقيلي، الانْكِضاني أصلا، ثم المعدري سكنى ووفاة، أخذ عن عبد العزيز وعن الحاج التمدزتي، ثم تصوف على هذا، فشارط في مدارس، إلى أن انتهى إلى هذه، ثم خلفه فيها ولده الحسن بن مبارك توفي آخر رجب 1350 هـ

6) مدرسة إدَاوْمْنُّو الهشتوكية(1)

عمرها المقرىء للروايات عمر التجكيلتي عقودا من السنين

7) المدرسة الأغْبَالُوئِيَّة

هي مدرسة قرآنية، درس فيها آل محمد بن الحسن (المتقدم) ومحمد بن أحمد وأهله الروايات

8) المدرسة المعْذْرِيَّة

أسسها مسعود المعدري، ودرس فيها، ثم ابنه أحمد، ثم أحمد العيني، قال بعضهم دخلت عليه فوجدته فيها يدرس التفسير، وأحمد هذا أخذ عن مسعود المعدري، وكان فقيها حسن، متقدما في معلوماته ينفع بعلمه، وتوفي المعدري سنة 1319 هـ

---

1) لم يعرف المؤلف رحمه الله بهذه المدرسة، ولكن في كتابه «رجالات العلم العربي في سوس» في الباب الثاني من الفصل الثاني عندما ترجم لعمر التجكلتي هذا ذكر بأنه كان قائما على مدرسة إدَاوْمْنُّو بهشتوكة، ولهذا جاز لنا أن نطلق عليها هذا الاسم (الناشر).

9) المدرسة التزنيتية

أشهر من درس فيها محمد بن الطيفور الايبوركي، ثم الشريف الكثيري، ثم الحسن بن الطيفور فخرَّج فيها طبقات، ثم عبد العزيز، وأخيرا كان فيها الحاج محمد المقرىء، الحافظ للروايات السبع، أخذها عن عبد الله الركراكي، والعالم أخذ عن أعبُّو وهو عال في دينه، وطبقة أعلى في الذي عنده من الروايات

10) المدرسة الوكاكية

أشهر من مر فيها أحمد أنجّار، أسال فيها من القراءات ودراساتها سيولا طافحة زمنا، والطاهر السماهري البعمراني قليلا، والاكراري قبلها ثلاثين سنة، وهي مدرسة أسست بـ (سوس في (المغرب) أجمع، أسست أول القرن الخامس، ومما أخذ منها إذ ذاك عبد الله بن ياسين مؤسس اللمتونيين

11) المدرسة الساحلية

أشهر من مر بها إبراهيم كزور المعدري، أخذ عن مسعود وعن أحمد بن إبراهيم الاكراري، وفهمه حسن، وقد تصوف على الشيخ الالغي، فنال في ذلك منالا، درس هناك دراسة لا بأس بها، كما درس فيها الأستاذ محمد بن إبراهيم الهرواشي، علامة جهبذ، أخذ عن مسعود المعدري، فكان علامة، ولعله آخر من درس فيها بجد، توفي في رجب 1331 هـ .

12) المدرسة التكَرْبــائية البعمــرانيـــة

أشهر من مر بها القارىء الضحًّاكي زمنا، فخرج منها عشرات في الروايـــات

13) المـدرســة البــوبكــريـــة

أشهر من مر فيها محمد بن مولود الحمزاوي الروانْي سنوات، وهو أستاذ عالي الكعب في ذلك الفن، مثابر على بثه في الناس بصبر كثير، حتى كان كل الطلبة في تلك الجهة من تلاميذه، أخذ القرآن عن أبيه مولود، والروايات عن حمزاوي يسمى أحمد التزنيتي غير مشهور، وابن مولود توفي وهو في أعماله وإخلاصه طبقة وحــده

14) مـدرســة الجمعـة العبــلاويـــة

درس فيها محمد بن مولود المذكور، وفيها ابطا كثيرا، ويكون عنده أكثر من مائة، وكان فيها أيضا محمد أبلُّوش، الأستاذ الفقيه الجيد التحصيل، أخذ بالمدرسة الالغية أخذا حسنا، وأتقن ما أخذ، وله آداب حسنة، ولا يزال فيها إلى الآن وهو يدرس فيها قبل اليوم بإمعان

15) المدرسة التلعينتيــة الجـراريـــة

أشهر من درس فيها محمد الرفــاكـي

16) المدرسة الاغرْمية الجـراريـــة

أشهر من درس فيها محمْد بن عبيل الاغرمي، والمقرىء محمد بن علي الفورڭلائي الرسموكي، فذلك خرج فيها في العلم، وهذا في الروايات، وكان فيها مع هذا سنوات 1320 هـ نحو 100

17) المـدرسـة البـونعمـانيــة

أشهر من مضى فيها أحمد أضرْضُور الاكَراري، ومحمد الماسي، ثم العلامة مسعود، فابنه محمد، فابنه الآخر أحمد كلهم عمروها، وقد رأت سنة 1312 هـ بين جدرانها 120 من الطلبة، ونحو 160 قبل ذلك، واليوم فيها نحو 15 فقط

18) المـدرسـة البـوعبْدلِيَّــة

أشهر من مر فيها محمد بن محمد بن أحمد، والد عبد العزيز، ثم الحاج الحسين الافراني، ثم المحفوظ الذي وصلت به الأوج، حتى كانت تزخر سنة 1318 هـ بأكثر من مائة، وقد صار في البيوت مثنى وثلاث، فصار الطلبة يبنون البيوت، فتباع البيوت، ثم درس فيها أيضا عبد العزيز المتوفى سنة 1336 هـ

19) مدرسة سيدي هْمُّو الحْسْنْ الأخصاصيـــة

أشهر من درس فيها الحاج أحمد اليزيدي، ومحمد الرفاكي، ومحمد بن الحسن الروايات حتى توفي فيها، وكذلك مر فيها بيبيس كما نظن

20) مدرسة سيدي علي بن سعيد

مر بها الحسن بيبيس، وعبد الله بن محمد الالغي مرتين، فعمراها كثيرا، والمدني بن علي سنوات، وعمرها أيضا

21) المدرسة البيزاكارنية

مر بها كل من بيبيس وأحمد بن صالح الافراني والعربي السمكني، وفي عهودهم كلها زخرت بالطلبة، خصوصا بالأخير، ومر بها أيضا مبارك البعقيلي

22) المدرسة الأمسرائية

درس فيها محمد بن المحفوظ، فاجتمع عليه عشرات، وتخرج عليه منها أفراد، وعبد الله بن محمد الالغي والبشير بن أبي بكر الاغوديري، وكلاهما عمراها بالدراسة الجدية، والبشير علامة حسن في الفقه والنحو، من خريجي المدرسة الالغية، وقد كان ابتدأ حياته بجد، فتخرج به تلاميذ بعضهم متفوق إلى الغاية، إذا به اعتبط سنة 1337 هـ، وممن مر بها أيضا عبد الرحمن العوفي الفرضي فيها دراسة ما، والفقيه أحمد بن محمد الأمسرائي، وهو من جيرانها، وهو علامة محصل فائق، غير أنه غير محظوظ في أخلاقه وعلمه، جال كثيرا في النوازل فلم ينجح، أخذ عن المحفوظ، ولا يزال حيا

23) المدرسة التغجيجتية

درس فيها ابن المحفوظ كثيرا، وهو فقيه حسن، تخرج به أناس .

24) المدرسة الأدائية

درس فيها محمد بن إبراهيم، الفقيه الصوابي في أواخر القرن الماضي، وهو حسن دراكة نوازلي، لم ندر عمن أخذ، وقد درس هناك ما شاء الله، ونعرف من ذكر أنه كان يأخذ عنه، وقد تصوف بعد ذلك على الشيخ الالغي، فنال منال العارفين ورد التبعات، وحاسب نفسه قبل أن يحاسب، توفي نحو 1313 هـ، وكما درس فيها عبد الله بن محمد الالغي، والعربي السمكْني قبله، وقد أدركت بهما شأوا بعيدا، وقد تخرج منها بعبد الله أفراد لا يزالون أحياء، ثم عبد الله بن إبراهيم الالغي درس فيها قليلا

25) المدرسة التنكرتية

مدرسة قديمة قبل القرن الثاني عشر، ويظهر أن محمد البراغي الذي دفن بجانبها كان مدرساً فيها، وهو صاحب المؤلف المشهور في «المبنيات»، وأولاده موجودون في كدميوة بالحوز يسمون البراغيين، كما نص عليه ابن العربي الأدوزي، وقد ذكر في آخر مؤلفه المذكور تاريخ تأليفه، فمنه يعلم عصره، وأستحضر الآن ما قال في ذلك، ومر أيضا هنالك محمد بن بلقاسم الأكماري، فقيه جيد، جال في النوازل ما شاء الله، وكانت وفاته وهو مشارط هنالك، فتك به من حكم عليه في نازلة في الطريق، وذلك قبل 1280 هـ، وكما مر بها محمد بن ابرهيم التمنارتي الشهير، وبه زخرت الدراسة، فتخرج منه كثيرون، ثم محمد بن عبد الله الأساكي، ودرس فيها أيضا، كما كان قبل هؤلاء كلهم عبد الله الأبوشكري في أواسط القرن الماضي، ومر بها أيضا الشيخ إبراهيم بن صالح التازروالتي، والفقيه إكْيلْكْ سنة 1314 هـ، ثم استقر فيها

الأستاذ الطاهر وولده محمد، فعمراها بما يعلمه كل أحد، فكم أديب تخرج بها، إلى أن دار الفلك، وطلعت الشمس من مغربها

26) المدرسة الرخاوية

درس فيها كل من الحاج الحسين الافراني والمحفوظ الأدوزي، وهي باكورة مشارطاته، فغمرها تحقيقا، فافعوعمت بالطلبة سنة 1310 هـ، ثم احتلها الفقيه أحمد أبو الطعام، وهو ضئيل فتضاءلت به المدرسة، وإن كان كرمه مديد الباع، حتى آوى إليه علماء الأعراب، ولكنهم لا يدرسون إلا بينهم خاصة، وفيها اليوم أحمد أزكاي، ولكن لا يعد أن يؤذن ويصلي وحده، فأين من يصلي معه

27) المدرسة التازروالتية

وهي قديمة، ربما بنيت من القرن العاشر، فممن مر بها أحمد بن مسعود المعدري نحو 1316 هـ يدرس فيها، وأحمد بن إبراهيم الاكراري، العلامة الفهامة، وهو شيخ محمد بن مسعود المعدري، وكان يجيء إليه، وقد شارط هناك في العقد الأول من القرن، هو وإبراهيم كزور، فيأخذون عنه في العواشر الفنون البيانية والمنطقية، وكان علامة في ذلك، وقد راجعها أيضا نحو 1321 هـ إلى أن مات فيها، ومر فيها أيضا أحمد بن عدي سنة 1280 هـ، ودرس فيها دراسة ما، وأحمد بن صالح الافراني، ومحمد بن علي الفركلائي، فعمرها عمارة عظيمة، معه 80 عدا، كما حكى لنا من حضر، وعبد الرحمن بن الفاضل الدكالي الصحراوي، يدرس فيها العلوم بهمة مع الفركلائي هذا، أخذ عن محمد الأمغاري الحاحي العلوم، وعن محمد أغْجْلِيْ القرآن والروايات، وتوفي

بمدرسة أيت داوود بـ (حاحة) نحو 1323 هـ، وعبد العزيز والحاج الحسين الافراني كلاهما يدرس فيها بهمة، وأخيرا كان فيها إبراهيم بن صالح، فشغرت من الدراسة ولو قليلة، لتوجهه إلى تصوفه، فتكدر أهل البلد، ولكنهم استحوا منه، ثم سعى بعض الناس إلى أن شارط فيها الطيب بن إبراهيم الاكماري فدرس فيها، ولكن لم يلبث الأول أن استرجعها، وصادف ذلك موت الهمم، فسكت الشاكون

28) المدرسة الأكمارية

درس فيها بلعيد الأبوشكري، من أهل القرن الثاني عشر، ممن أخذ عن أحمد بن محمد الظريفي الصوابي، ثم شغرت من الدراسة إلى أن درس فيها عبد الله الأبوشكري وأحمد بن سعيد العركوبي، ومحمد ومِينْكْ الأكماري، وبه هناك تخرج صالح الأسكواري، الفقيه النجيب الذي أخذ أيضا عن الحاج ياسين في مدرسة تافراوت المولود، لكنه اعتبط نحو 1286 هـ، ثم بقيت المدرسة بعدهم إسما بلا مسمى، وقد حاول الفقيه سعيد الأكماري أن يدرس فيها، وهي بيده مدة حياته، ولكنه لم يخلق، كما يقوله لذلك

29) المدرسة التَّاغلُولُوئيَّة

درس فيها محمد بن عبد الله الأبوشكري صاحب «المدح النبوي» في نحو 1280 هـ، ثم محمد بن عبد الله الأساكي دراسة ما سنة 1298 هـ، وعثمان بن أحمد الاكراري الآخذ عن مسعود ومحمد بن العربي، وهو فقيه حسن سليم الطوية، مقبول المعاشرة، صوفي الأخلاق، وقد تصوف على يد الشيخ الالغي، درس هناك، ونعرف أناسا أخذوا

عنه فيها، ثم ابرهيم بن صالح عانى فيها دراسة ما، وكان قبل هؤلاء كلهم يدرس فيها عبد الله الأبوشكري، ومنها تخرج به عبد الله بن الحسن الأعدَّائي

30) المدرسة الأدوزية

ربما أسست في أول القرن الثاني عشر، لأنه درس فيها العلامة ابرهيم بن محمد بن عبد الله بن يعقوب، وهو من أصحاب أحمد بن سليمان الرسموكي، الفرضي المشهور، توفي عن سن عالية سنة 1160 هـ، وابنه علي بن ابرهيم، العالي الشأن، أخذ عن أبيه فكان منار عصره علما وعملا، توفي سنة 1207 هـ، وابن أخيه محمد بن أحمد، صاحب التآليف العديدة الجهبذ، وهو الذي تولى كبر الدراسة في تلك المدرسة في حياة عمه، إلى أن توفي سنة 1206 هـ قبل عمه، ثم محمد بن أحمد شارح «المرشد»، العُلامة الكبير القدر من أصحاب الحضيكي، توفي سنة 1321 هـ، ثم (1) البوشاني البعقيلي، وهو من أصحاب المذكور قبله؛ وهذا علامة عظيم المقام، أخذ عنه العربي الأدوزي ومحمد بن محمد بن أحمد الأدوزي ظنا، وكان مدرسا مفتيا قاضيا، صالح الحال مشهور بالخير، وله صيت لا يزال مترددا، توفي 1245 هـ، ثم كان هناك أيضا العربي الأدوزي نحو 1248 هـ، ثم محمد ولده سنة 1286 هـ، ثم درس هناك أيضا ابن عمرو نيابة عن هذا الأستاذ من 1313 هـ، إلى 1323 هـ، ثم عبد العزيز إلى 1331 هـ، ثم المحفوظ إلى 1351 هـ

---

1) بياض بالأصل.

هكذا تيسر لهذه المدرسة أن يتسلسل فيها عظماء، كان لها فيها معهم أعظم شأن، إلى أن توفي الأخير منهم فتوفيت معه، فها هي الآن شاغرة إلا من بعض صبية قرآنيين، بعدما وصلت سنة 1286 هـ إلى 200 من الطلبة عدا

31) مدرسة أفَاوْزُورْ

درس فيها كل من عبد العزيز الأدوزي، وأبو الوجوه المقرىء الحمزاوي، وابن عَمْرو عمرها عقودا من السنين، وأَعْجْلِيْ وخالد بن عبد العزيز الأغرابوبي، فقيه حسن مشارك، توفي نحو 1295 هـ

32) مدرسة أفلَّا أُوكْنسْ لآلِ تَرْكَانِينْ

كان يدرس فيها في القرن الحادي عشر العلامة علي بن أحمد، قرين عبد الله بن يعقوب، وكانا معا فرسى رهان في التدريس، توفي علي سنة 1049 هـ، ودرس فيها أيضا خالد التركْينيني، دراسة ما بحسب العدم، وآخر من درس فيها أحمد بن سعيد الأكْاري، سنوات قليلة

33) المدرسة الاكْضِيئِيَّة

اشتهرت بالمدرس فيها عقودا من السنين عمر التملي، الفرضى المشارك الصوفي، أخذ عن الحاج محمد بن بلقاسم اليزيدي، وعن ابن العربي الأدوزي، وتصوف على الالغي، وكان في الورع والمراقبة فريدا، مع زهد توفي سنة 1335 هـ، ثم ابن أخيه عبد الله، فقيه حسن حيسوبي فرضي، بقي هناك إلى أن توفي سنة 1346 هـ .

34) المدرسة المصيتيـــة

مر فيها الحاج الحسْن التمدزتي، وفيها كان يأخذ عنه مبارك البعقيلي، ومحمد بن عبد الرحمن الحاحي، ومر فيها أيضا ابن عمرو، ودرس فيهـــا

35) المـدرسـة الأمــاسينيـــة

أسسها في آخر القرن الماضي عبد الله بن..................(1) بماله، ثم أعانه الأماسينيون، فزخرت بطلبة القرآن عشرات، وهذا السيد ممن تخرج بأنْجّارْ

36) المدرسـة الارَازَانِيَّة البعقيليَّـــة

درس فيها عبد الله المذكـــور

37) المـدرسـة الأنْكِيضَائيَّـــة

مر فيها محمد بن عبد الوافي الفقيه الجيد، تخرج بالاكْشتيميين، وكان يدرس فيها سنوات 1280 هـ، وفيها أخذ عنه عمر الاكْضيي، وابرهيم بن صالح التازروالتي، وآخرون، توفي نحو 1314 هـ، ثم موسى بن صالح دراسة ما، وهو أغرابوبي، فقيه جيد حسن موصوف بالخير، أخذ عن ابن العربي الأدوزي، توفي قبل 1350 هـ بقليل شابا، وبقيت عليه هناك قبة، وهذه المدرسة إنما هي مسجد كبير أصلا، ثم تفرعت إلى مدرسة

---

1) بيـاض بالأصـل

38) المدرسة الوفقاوية

درس فيها عبد الله الكَرْسيفي، الذي قيل انه مؤسسها في أوائل القرن الماضي، وهو علامة مذكور، لعله توفي نحو 1240 هـ، والله أعلم، ثم ولده محمد بن عبد الله فقيه جيد، لعله تخرج بأبيه، لأننا لا نعرف له ولأبيه مُتخرَّجا، توفي هذا قبل أن يختتم القرن الماضي كما حدثنا به، ثم درس فيها أيضا محمد ابن الحاج محمد التملي التازُولْتي، العلامة المفتي المدرس الكبير، وفيها قتل سنة 1259 هـ كما تقدم، ثم كل من ابن عمرو، وخالد بن عبد العزيز الأغرابوبي، والحاج محمد بن بلقاسم اليزيدي، وابنه أحمد بن محمد أخيرا، وبه استرجعت بعد عقود من السنين ما كانت تعرفه، وقد أعرض عنها آخرون مروا بها

39) المدرسة الالغية

تأسست سنة 1297 هـ، مؤسسها محمد بن عبد الله وعلي أخوه، والمشارطون عندهما الحاج محمد اليزيدي، والشيخ الالغي الدرقاوي، وأبو القاسم التجرمونتي، وأحمد بن محمد اليزيدي، والمدني بن علي، وعبد الله بن إبراهيم الالغي

40) المدرسة الاغشانية

درس فيها عبد الرحمن الأعرج السالمي، وعنه أخذ فيها عبد العزيز الأدوزي، ومحمد بن عبد الله الكَرْسيفي، ذكر أنه ابن عم المذكور، وأنه توفي نحو 1297 هـ، وكما مر بها محمد المفماني الكبير، سنوات 1280 هـ، ومحمد بن محمد ولده سنوات 1318 هـ، وكان هذا

علامة مدرسا خَرّج كثيرين وتوفي سنة 1336 هـ، والعربي السمكْني، ولعله أسعد من مر بها أخيرا في تخريج التلاميذ النجباء منها، ولا يزال عشرات أحياء منهم، وقد مكث فيها سنوات كثيرة، يتخللها الخروج منه ثم رجوعها إليها، ثم كان هناك أيضا عبد الله بن محمد، وهو أيضا جال في التدريس فيها جولانا منتجا، ويحيا اليوم كثيرون أخذوا عنه فيها متخرجين، وكذلك أحمد بن محمد اليزيدي، وأبوه قبله، وكلاهما أراها الجد، وأحمد آخر من درس فيها بجد ومواظبة

41) المدرسة التارصواطية

مدرسة الحضيكيين، ففيها تخرج نحو مائة من الفطاحل، من عند العلامة الحضيكي، وغالبهم معلومون في كتاب «الحضيكيين» للأكشتيمي، وذلك في النصف الأخير من الثاني عشر، ثم تلاه ولداه عبد الله وامحمد، وكلاهما خنذيذ متطلع، وناهيك بأن الأول منهما أتقن الفقه حتى أنه كبناني معاصره، وقد سبق الرهوني في انتقاد بعض انتقادات بناني على الزرقاني، كما أن الثاني منهما أيضا مشارك في غير الفقه، وكان له انفراد في عصره، بل في (المغرب) منذ كان إلى الآن فيما نعلم من علم الطب، فقد كان يدرس من هذا العلم كتب ابن سينا بشروح ابن رشد، ويملي عليها من حفظ التذكرة للأنطاكي، وهذا أعجب العجب، ولولا أن أبا زيد تلميذه يعرف ما يقول لاستبعدنا ذلك، وقد توفي العالمان الجليلان في أول القرن الماضي، وعبد الله أصغر من أحمد، ولهما أخ ثالث يسمى الحسين، عالم أيضا

ثم تلاهم في المدرسة محمد بن عبد الله، المتخرج بمحمد بن أحمد الأدوزي، شارح «المرشد»، وعنه أخذ كثيرون من علماء أواسط القرن

الماضي، وتوفي نحو 1270 هـ والله أعلم، وممن أخذ عنه عبد الرحمن السالمي الايسي، ثم تلاه ولده محمد بن محمد، والغالب أنه تخرج بأبيه، ثم أخذ أيضا عن الاكْشتيميين، وتوفي قبل أن يختتم القرن الماضي، ولم يكن كأهله إقبالا على المدرسة، فلم يشتهر بالأخذ عنه إلا قليل جدا، فبه ختمت المدرسة أنفاسها

42) المدرسة الايموريـــة

تأسست في مفتتح هذا القرن، فمر بها العلامة الطيب اليزيدي ودرس فيها، وإذ ذاك أخذ عنه أحمد اليزيدي الأديب، ثم المكي بعده وأخذ عنه كثيرون، وتخرج به قليل، وكادت تكون مدرسة وحده، ثم محمد ابن الحاج حينا، ثم أحمد بن صالح الافراني، وإذ ذاك سنوات 1325 هـ، تخرج به المدني الالغي، ثم طويت فيها الدراسة الجدية إلا لماما، حين كان فيها الطاهر بن علي وعبد الله بن ابرهيم، الالغيـــان

43) المـدرسـة التهـاليـة

تأسست على يد عبد الله بن إبراهيم التُوفتَارْكَائي، الرجل الصالح نحو 1290 هـ، أو قبل ذلك بسنوات، فكان فيها ما شاء الله، ثم عمر التازروالتي التاغجيجتي، من نجباء المتخرجين من تحت يد محمد بن إبراهيم التمنارتي، وذلك في سنوات 1296 هـ، ودرس فيها دراسة مًّا، ثم توفي قبل اختتام القرن، ثم أحمد الأسكاري، أرساه فيها شيخه عبد الله بن إبراهيم مؤسسها، فلبث فيها لا ينقطع عن التدريس، وإن لم يكن فيها بذي شهرة كبيرة، ولكنه حظي بأن أخذ عنه علماء عظماء اليوم، ولم يزل هنالك إلى أن توفي نحو 1335 هـ، ثم أحمد بن عبد الله

الأقريضي، لكن تدريسه فيها ضئيل، بعدما كان معروفا بالجد في (تاكوشت)، وسبب ذلك هذا الفتور العام، ولا يزال فيها إلى الآن

44) المدرسة البومروانية

مدرسة قديمة مذكورة قبل القرن الماضي، وأقدم من عرفناه فيها، أبو القاسم العباسي في أوائل القرن الماضي، وربما كان فيها قبل ذلك، أخذ عن الحضيكي، وعن محمد بن الحسن التغزيفتي، وعلى هذا تخرج في أول العقد الأخير من الثاني عشر، وقد درس فيها، ولعله توفي نحو 1340 هـ، ألم بذكره أبو زيد في «الحضيكيين»، وذكر أنه رآه بتلك المدرسة، ولكنه أغفل وفاته، ثم مر بها أيضا عبد الله بن محمد بن يعزى السملالي، في النصف الأخير من القرن الماضي، ولعله أبطأ فيها، وقد غادرها بوفاته سنة 1294هـ، ولم ندر عمن أخذ، ثم محمد بن عبد الله الالغي، درس فيها بالجد سنوات، والشيخ الدرقاوي الالغي قليلا، نائبا عن ابن عبد الله، وأبو الوجوه عمرها بقراءة الروايات سنة 1299 هـ، والحسين بن بكي بعد ذلك، وهو أستاذ نجيب حسن الفهم، تخرج بمحمد بن المحفوظ، وقد ظعن إلى (حاحة) فشارط في مدرسة (1) بـ (نكنافة)، وهناك مات، ودرس فيها أيضا العلامة الطاهر بن محمد الافراني سنة 1329 هـ، فعادت به إلى الجد، ثم عبد الله بن محمد الالغي، وأحمد بن محمد اليزيدي، وهو من جد فيها بالدراسة، ثم تداولها أقزام في الهمم، لا يعدون آثارا

1) بياض بالأصل .

45) المدرسة المولودية الرسموكيـة

مدرسة قديمة مشهورة قبل أواسط القرن الحادي عشر، وفيها كان عبد العزيز الرسموكي يدرس، فيأخذ عنه اليوسي، وقد وصف ما أخذ عنه في فهرسته، وكان لا يشارط فيها إلا المجدون، كمحمد بن الحسن التغزيفتي أواخر القرن الثاني عشر، إلى أن كان فيها الحاج ياسين بعده 1227 هـ، فغمرها بالعلوم وعمرها بالجد، وتخرج عنه فيها إذ ذاك كثيرون، وكانت في طول حياته مدرسته الخاصة يدخلها متى شاء، ويفارقها إن شاء، وفي خلال ذلك يكون فيها آخرون، من بينهم الحاج محمد اليزيدي سنة 1285 هـ، وفيها يأخذ عنه متخرجون به مشهورون، وأيضا مسعود بن مسعود ممن تخرج بالحاج ياسين، كان فيها ما شاء الله مدرسا، ويوجد اليوم فقيه يسمى بلعيد، كان ممن تخرج بمسعود هذا، ثم خلفه في المدرسة بعد وفاته، وهو أستاذها اليوم، وقد مر بالمدرسة أيضا أحمد بن محمد اليزيدي سنوات 1353 هـ، فأفاض فيها سجالا من المعارف بجده الذي لا يفارقه، وهو آخر من درس فيها بجد

46) المدرسة التزموتيـة

عريقة في القدم، كانت مشهورة قبل أواسط القرن التاسع، وفيها يدرس الكراميون، ومن بينهم سعيد، المتوفى سنة 882 هـ، وإن كان درس في محل آخر إزاء مكان سوق (الثلاثاء الأكارية) اليوم، ويقال ان هناك ألف تآليفه، ويقال إنه آخر من أخذ من السوسيين بـ (الأندلس)، كما درس فيها أيضا عبد الرحمن الكرامي أخوه، ثم أولاد

سعيد بعده، ثم لم نعرف حالتها إلى آن نبغ عبد الله بن يعقوب من اسرة أخرى، فدرس فيها 35 سنة، إلى أن توفي سنة 1052 هـ، وهو علامة جهبذ، أخذ عن محمد بن ابرهيم ابن الشيخ محمد بن إبرهيم التمارتي، وعن عيسى السكتاني بـ (تارودانت) وعن اخرين، وقد اشتهر في ذلك العصر بالتدريس في تلك المدرسة، فتخرج به كثيرون، أحصى منهم بعض مؤرخي تلك الجهة ما يقارب الثلاثين، ولا شك أنهم أضعاف ذلك، وترجمته واسعة، ثم خلفه في المدرسة ولده يبورك، العلامة الناشىء بين الدفاتر والمحابر والأعمال الصالحة، فنسي بها كل شيء، فأمضى 32 سنة التي قطعها في الحياة بين دراسة وتأليف، وهو من مفاخر (سوس)، توفي سنة 1058 هـ، ثم خلفه فيها محمد أخوه، وهو من الفطاحل الكبار، لا يعرف إلا الجد في كل شيء، خصوصا في التدريس، توفي سنة 1082 هـ، ثم تلاه ولده محمد بن محمد، فضم إلى ذلك التليد طريفا جديدا بهمته، إلى أن توفي سنة 1122 هـ، وهؤلاء من عرفناهم درسوا إذ ذاك في المدرسة التزموتية ثم أقبروا فيها، ثم انتقل أولادهم بتدريسهم إلى (أدوز)، ومن ضم ها هنا إلى ما تقدم ذكره، مما لهم في الأدوزية، يعرف فضل تلك الأسرة على العلوم العربية بسوس، وكم لتلك الأسرة من نظائر

وأخيرا في هذا النصف الأول من هذا القرن كان في المدرسة التزموتية محمد بن محمد المفماني يدرس، ولعله آخر من درس فيها

47) مدرسة دُوذْرَارْ الرسموكيــة

درس فيها عبد العزيز، ومر له فيها جد لا يدرك، وقبله الطيب بن أحمد التكوشتي الصوابي، درس فيها بجد سنة 1299 هـ، ويوجد اليوم

من أخذوا عنه إذ ذاك، توفي بعد ذلك، وأخيرا كان فيها علي بن الطاهر، وهو بالدراسة الجدية أحق بها وأهلها، وقد جال فيها، ولكن الدهر خؤون

48) المدرسة التيزكينية

درس فيها عبد العزيز أيضا وآخرون، وذكر لي أن غالب علماء (رسموكة) الكبار، درسوا فيها قبل أن يدخل هذا القرن، ولكن لم نعرف من هم بالتعيين

49) المدرسة الأكدالية

أسسها أحمد الصوابي في النصف الأول من القرن الثاني عشر، وفيها درس معه العلامة الورزازي نزيل (تطوان)، وهو المشهور بنقل «بناني» وغيره عنه، حتى قيل أن حاشية «بناني» اعتمد فيها على طرر هذا، ومن تلك المدرسة تخرج الحضيكي، ولأحمد الصوابي ترجمة واسعة في طبقات تلميذه، توفي سنة 1149 هـ، ثم درس هناك أيضا محمد بن أحمد التاساكاتي الايلالني، من المتخرجين بالحضيكي، أرسله لعمارة تلك المدرسة حين طلبت ذلك منه عائشة بنت أحمد الصوابي، وللتاساكاتي مقام محمود في منازلة الثائر بوحلايس، ونسمع أن السلطان مولاي سليمان جازاه بالخير على قيامه بذلك الواجب، توفي سنة 1214 هـ، وهو آخر من درس هناك إذ ذاك، إلى أن جال فيها أيضا آخرون في أواخر القرن الماضي، لم نتيقين أفعالهم، فذهبت أثرا مذكورا

50) مدرســـة...............[1]

أشهر من مر بها محمد بن محمد الوسخيني، وهو الذي أجازه عبد الله الأكشتيمي، بإجازة موقعة سنة 1183 هـ، وكان قبل ذلك مدرسا وبعد ذلك في تلك المدرسة، وفيها أخذ عنه ابرهيم العيني صاحب «الرحلة»، ولعل الوسخيني توفي قبل 1214 هـ أو فيها نفسها، ثم اشتهر أيضا هناك محمد بن علي الأكلويي، ممن تخرج بالحسن التمكدشتي، ومن هناك تخرج به الفقيه الحسن الراسلوادي، توفي ابن علي في مدرسة (فم السَّاقية بأكلو) مشارطا سنة 1296 هـ، ولم تكن هذه المدرسة أصلا إلا مسجدا كبيرا، فاستحالت مدرسة للعلوم بهمم هؤلاء، ثم اندثرت فيها هذه الأعمال باندثار الهمـم

51) المدرسة الكونكية الهشتوكيـة

اشتهرت أخيرا بالحاج عبد الشهير، فقد أفعمها تدريسا، حتى تخرج به أمثال الحاج الحبيب وعلي الايسيكي، ثم درس فيها الحاج مسعود الوفقاوي، بعد أن حال الجبروت من ابن الحاج الحسْن الاكسيمي بينه وبين (إغيلالن)، وذلك سنة 1342 هـ، وهو آخر مدرس عظيم رأته تلك المدرسة

52) المـدرسـة الايـيـوركيـــة

مدرسة عظيمة قديمة من آخر القرن العاشر، ومؤسسها يبورك، ممن تخرج بأحمد بن عبد الله المسكدادي، أعظم علماء النصف الأول من

---

1) لم يعرف المؤلف هذه المدرسة ولعلها مدرسة ابن جرار بهشتوكة أو فم الساقية (إيمي نتاركًا) المذكورة في النص وغالب الظن أنها الأولى لأن التي تتلوها في النص هشتوكية أيضا، راجع تراجم المذكورين هنا في المعسول قصد الاستدلال (الناشر)

القرن العاشر، وقد تتابع في تلك المدرسة علماء كبار من أهلها ومن غيرهم، لأنهم يستوردون الجهابذ إليها أحيانا، فهذا أحمد الصوابي مات هنالك، لأنهم استوردوه في رمضان لدرس الحديث، فصادفه يومه، ونأسف حيث لم يمكن لنا أن نوفي هذه المدرسة حقها، لأن تاريخ تلك الأسرة، وأخبار مدرستهم لم نتصل بهما

53) المدرسة الأزاريفية

أقدم مدرسة نعرفها بعد الوكاكية، فهذه الأخيرة أسست في أوائل القرن الخامس، على يد محمد وكاك المتوفى نحو 445 هـ، والأخرى رأينا من نص على أنها أسست في القرن الثامن، ولا أدل على ذلك من أن تلك الأسرة، كا لها قبل النصف الأخير من القرن التاسع شأن عظيم في العلم، ويسمون أبناء عبد العزيز، وناهيك بثناء محمد الشيخ التمنارتي حين كان يقول وهو يروي على محمد بن ابرهيم البعقيلي في تقبيل اليد والسيادة ما أدركنا الكراميين وأبناء عبد العزيز على ذلك، وأبناء عبد العزيز هؤلاء يضافون أحيانا إلى (حجر عيسى)، وتارة إلى (تيلكات)، وتارة إلى (إيسي)، فأما نسبة بعضهم إلى (إيسي) فلعل لهم دارا هناك أيضا، وإلا فمنزلهم بـ (تيلكات) بـ (أيت حامد) قرب (أزاريف)، وقد مضى منهم شعراء أدباء علماء قضاة منهم، وأول من نعرفه منهم علي بن محمد بن عبد العزيز، الآخذ عن ابن هلال ونزيل (أقا)، ولم يذكر وفاته، وولده سعيد بن علي توفي قبل 980 هـ، والصوفي عبد الرحمن بن علي، أخذه من أقران أحمد بن موسى توفي سنة 984 هـ ويوخذ عنه، وأحمد بن سعيد بن علي توفي سنة 997 هـ، والحسن بن سعيد أخوه، الذي جال أيضا في الرئاسة توفي سنة 1033 هـ، ومحمد بن سعيد بن علي أخوهما، توفي سنة 1043 هـ، وهو قاضي القضاة في

عصر بودميعة، المستبد به بـ (إيليغ) أولا، وعبد الرحمن بن محمد بن سعيد قتل سنة 1023 هـ

وهؤلاء كلهم كما يرى الانسان متأخرون عن القرن التاسع، الذي هو متعلم محمد الشيخ، المعمر نحو تسعين أو أكثر المتوفى سنة 971 هـ، ولا شك أن هنالك علماء آخرين قبل علي، كأبيه محمد وإخوته، إن كان لهم إخوة، ونرى أن هؤلاء هم أو بعضهم المدرسون في مدرسة (أزاريف) بعدما أسسها أجدادهم، ثم لم نعرف من هناك أحدا إلى أن نبغ محمْد بن يحيا الأزاريفي، المدرس العلامة المتوفى سنة 1116 هـ، ثم ولده أحمد، المفتي الكبير، وقد رأينا أسئلة تتوجه إليه، إلى أن نبغ هناك في النصف الأخير من القرن الماضي الحسين، الدراكة المدرس المشهور، المتخرج بالعربي الأدوزي، وقد خرج كثيرين، وقد خلفه ولده محمد بن الحسن، المتخرج بوالده، فأقبل وأقبل في المدرسة، وكانت له شهرة طائرة في التدريس فخلفه بعده أخوه الحسن، ولكنه دونه بكثير، فتوقف الدولاب

ثم إن ما ذكرناه من أن أبناء عبد العزيز، منهم أنفسهم الشعبة التي نبغ منها محمد بن يحيا وأولاده، هو ما أخبرنا به ولسنا في ذلك تام، وإن كان لا يصح كون تلك المدرسة قديمة العهد إلا بذلك، وفي تلك المدرسة خزانة عتيقة تذكر، ولا تزال محفوظة

54) مدرسة تيزي الاثنين

اشتهرت في أواخر القرن الماضي بالحاج محمد المقرىء للروايات، فقد تخرج به كثيرون، وطفحت به المدرسة طلبة سنوات 1280 هـ .

55) مدرســة إِمِــي لْتْنِينْ

اشتهرت في النصف الأول من هذا القرن بالأستاذ مبارك المِلكي الحمزاوي، أخذ عن عبد الله الرگراگي حتى تخرج، ثم شدا في المعارف بـ (أعبو)، توفي سنة 1342 هـ

56) المدرسة التكشتيــة الصوابيــة

تأسست في أول القرن الحادي عشر، على يد الفقيه سعيد بن الحسن من (أوْجُّو)، فدرس فيها إلى أن مات سنة 1047 هـ، ثم لم نعلم من درس فيها إلى ابرهيم بن محمد العلامة الشهير، أخذ عن الناصريين بـ (تمگروت)، توفي في (مصر) حاجا سنة 1136 هـ، ثم ابن أخيه محمد بن أحمد، فتخرج به كثيرون مذكورون في التاريخ، توفي سنة 1164 هـ، ثم تلاه ابنه أحمد بن محمد، إلى أن توفي نحو 1190 هـ، ثم ولاه فيها ابرهيم بن محمد أخوه، آخر القرن الثاني عشر، بعدما تخرج بـ (فاس) ببناني وجسوس وأبي حفص، فكان قطب الفتوى ورجل الدراسة، إلى أن توفي سنة 1214 هـ، وبعد 1214 هـ، لم نعلم كيف حالتها، إلى أن كان فيها محمد بن ابرهيم التكشتي، ولعله من هذه الأسرة، ما شاء الله، ثم درس فيها الحسن التياسينتي الالغي، وهو فقيه لا بأس به، وكان من أقران محمد بن عبد الله الالغي، فحاول أن يجاريه في التدريس في مبدإ أمره، ولكنه لم يساعده باعه ولا سعده، أخذ عن محمد بن ابرهيم التمارتي وعن ابن العربي الأدوزي، وجال في المشارطة كل حياته، إلى أن أسن فتوفي أواسط 1356 هـ، ثم كان في المدرسة أيضا أحمد أقريض، فعمرها ما شاء الله، ثم الحاج عابد، وهو آخر من درس فيها، ثم دخلت في بحر الظلمات .

57) المدرسة التَّنَالْتيَّة

اشتهرت أخيرا بمحمد همُّوش الايسي، والحاج محمد اليزيدي في سنة 1283 هـ، والحسين التياسينتي، وعمر المقرىء الشهير فيها نحو 1304 هـ، ثم عظم مقامها كثيرا بالأستاذ محمد بن عبد الله أقريض، وهو آخر من درس فيها بجد

58) المدرسة الفُوكْرْضِيَّة

درس فيها الشيخ الالغي الدرقاوي سنة 1296 هـ دراسة وسطى، ومعه نحو 20، ثم الحسن التياسينتي، وكان فيها قبل ذلك الحاج محمد اليزيدي، ولعله آخر من كان درس فيها بجد للطلبة الكثيرين

59) مدرسة تُوفْتَارْكَا

اشتهرت بالعلامة عبد الله بن ابرهيم، الذي قيل إنه خرَّج منها سبعين عالما، وما ذلك ببعيد، ولم يخلفه فيها من يذكر

60) مدرسة آلِ تِفِيرَاسِين

مر فيها عبد الله بن عمر، ثم ولده محمد، على ما سمعنا، ولعله آخر من درس فيها بجد، فإننا رأينا الحاج عابد منهم في المدرسة الكونكية

61) مدرسة سيدي يعقوب بإِيلَالْنْ

اشتهرت بعلي بن سعيد، العلامة الكبير المحظوظ، أخذ عن أحمد بن سعيد النظيفي، وتوفي سنة1240 هـ، والمتخرجون إذ ذاك بالمدرسة

اليعقوبية كثيرون، ثم تلاه ولده محمد بن علي، يعسو بها، ثم حفيده الحاج عبد الحميد، أخذ عن جده وعن الأدوزيين، وَجَدَّ حتى تخرج بالمدرسة جماعة، توفي سنة 1318 هـ، فسقط إسمها

62) مدرسة بومهدي الايلالنيـــة

كان محمد أُكْيكْ أعلى شأنها حين شارط فيها سنة 1321 هـ، فأخذ عنه فيها جماعة، بعدما عمرت بدراسة علي التُّوفلعزتي ما شاء الله.

63) مدرسة تيسدوغاس الايلالنيـــة:

اشتهرت بعلماء(آل تلات أوكْنار)، كعلي بن سعيد والدهم أولا، من أصحاب الحضيكْي، فاجتهد هناك، وممن أخذ عنه أبو زيد الاكْشتيمي توفي سنة 1225 هـ، ثم ولده إبرهيم، علامة مدرس توفي نحو 1260 هـ، ثم ولداه أحمد وسعيد، الآخذان عن والدهما، ولكن نزع أحمد في التدريس ضعيف، توفي أحمد نحو 1290 هـ، وسيأتي ذكر سعيد، فشغرت المدرسة من الدراسة الجدية، وحل مكانها الصلاح والتبرك، كما اشتهر به أحمد.

64) المدرســة التومليلينيــة:

اشتهر فيها في آخر القرن الماضي سعيد بن ابرهيم بدراسة مًا، وقد أخذ عن والده، توفي نحو1296 هـ، وقد خلفه والده أحمد، وهو عالم جيد، أحسن من أبيه، وتقدم أشواطا في الدراسة، ولا ندري متى مات، وممن مر بها قبله عبد الله ابن الأمسلوتني الايلالني، المتوفى

سنة1214 هـ، أخذ عن الحضيكي، كما مر هناك أيضا محمد بن الحاج الافراني سنة1324 هـ، وإذ ذاك أخذ عنه أحمد بن محمد اليزيدي شيئا.

وتلك المدرسة من القرن الحادي عشر، أسسها العلامة عبد الله بن يبورك بن علي بن محمد الايكوتي، وهو أديب، وقد نقل عنه ابن الحاج القصيدة المشهورة في امالي القالي، مطلعها:

نات دار ليلى فشط المزار　　　فعيناي ما تصعمان الكرى

وهي لأبي صفوان الأسدي في وصف الفرس.

65) مدرسة تسيل وَّاسِيفْ الايلالنية:

اشتهرت بالروايات حين شارط فيها عبد الله أخرباش الحمزاوي المشهور.

66) مدرسة إبرهيم بن عمرو

أسسها محمد الشريف، من النصف الأخير من القرن الماضي، فعمرها بالمعارف الجمة حتى تخرج به كثيرون، ولعلها لم تر مثله في جده ونشره للعلم.

67) مدرسة.........

(1)

1) بياض بالأصل .

68) المدرسة الأكْشتيمية:

أول من عرف فيها في القرن الأخير عبد الله بن محمد، جد الأسرة الأكْشتيمية، اجتهد فيها اجتهادا منقطع النظير، قال بعض زائريه لولده أبي زيد عهدي بوالدك يدرس كل يوم عشرين نصابا، وهذه همة لا تدرك، ثم لما توجه إلى الحج استخلف فيها إبرهيم الجرفي، فدرس فيها زهاء 15 سنة، إلى أن توفي نحو 1212 هـ، وقد أخذ عن محمد بن عبد الله التمكْروتي، وعن أحمد بن محمد الظريفي، ثم درس فيها أبوزيد، ثم ولده الحاج عبد الله، ثم الحاج أحمد، إلى أن كان يستنيب فيها، فممن استنابه عبد الرحمن الأديب الايسي، وعمر بن عبد الرحمن بن محمد ابن الحاج محمد التازولتي، وعُمَر هذا علامة دراكة، ممن أخذ عن الحاج أحمد وغيره توفي سنة 1329 هـ، ثم تولاه الفقيه عمرو ابن الحاج أحمد، إلى أن توفي سنة 1349 هـ، وكان هذا متخرجا بأهله في مدرستهم، وهو حسن الأخلاق، مقبل على نشر العلم، مع وجوده في وقت فتور الهمم، فكانت بذلك تلك المدرسة متصلة العمارة زهاء قرنين بهذه الأسرة المباركة، ثم انطوت صحيفتها بانطواء العلم من تلك الأسرة أيضا، كأنما كانا على ميعاد

69) المدرسة التافراوتية التملية

شارط فيها الأستاذ محمد بن أحمد الديملالني، من المتخرجين من مدرسة (تمكْدشت)، ولد نحو 1235 هـ، وتوفي سنة 1298 هـ، وكان فقيها لا بأس به يدرس، ثم عقبه فيها الأستاذ محمد ابن القاضي الشهير، فبه اتصلت فيها الدراسة واشتهرت، ثم تلاه ولده الفقيه الصوفي عبد الله، وقد تخرج بأبيه ولكنه دونه، وهو صوفي الأحوال، تصوف

بالشيخ الالغي، ولكنه يدرس دائما في فنون، توفي سنة 1323 هـ، ثم عقبه فيها ولده محمد بن عبد الله، المتخرج بعبد الحميد الايلالني، ولكنه لم يعط همة في التدريس، فدخل في غمار الفاترين، وهو مرتطم في النوازل

70) مدرسة تِمْزْكِيدَا وَّاسِيفْ بِأيْتْ مْزَالْ

درس فيها في أواسط القرن الماضي، العلامة الحسن، والغالب أنه من (أوجّمْل)، وممن أخذ عنه محمد بن أحمد الكُرسيفي الأسكوري وآخرون، ثم لم نسمع بعد لتلك المدرسة جدا في التدريس إلا في المبادىء

71) مدرسة سيدي بوسعيد بتسْكْدْلْت

مر بها مدرسون، أشهرهم العلامة علي التوفلعزتي في النصف الأخير من القرن الماضي، ولعلها لم تر بعد له نظير فيما نعلم، إلا بعض دراسة في المبادىء، ثم انقطعت أيضا، فلا عين ولا آثار مع شهرة المدرسة

72) المدرسة المرغتية الأخصاصية

مدرسة قديمة لعلها هي التي تخرج منها محمد بن سعيد، العلامة المشهور في الحادي، كما كان درس فيها حين كان له شأن بـ (مراكش) بعد التحاقه بها جرده أهله ليعمر مدرستهم، ولكنه بعد زمن رأى أخلاقا وأحوالا لا توافق ورعه، فرجع يدرس في المواسين، توفي سنة 1089 هـ، وممن مر بها أخيرا أحمد بن مسعود المعدري فيما سمعنا،

ومحمد بن أحمد الأسكوري، الفقيه النبيه الصوفي المشارك، الذي يُدرس دائما أينما كان ولو مع واحد، توفي سنة 1332 هـ، ومر بها أيضا عبد الله بن إبرهيم الالغي، ولعله آخر مدرس حسن مر بها، ثم خر سقفها

73) المدرسة التمنارتية

من المدارس التي أدت لـ (سوس) ما على المدارس من الحقوق للأمة، أسسها محمد بن إبرهيم الشيخ، أو على الأقل هو الذي اشتهرت به، إن كانت موجودة من قبله، كان الشيخ بعد أن تخرج يدرس في أكَادير بـ (ترصواط) من (أمنوز) حيث منشأه، ثم فر إلى قرية (أكُرْضْ إمْلَالْن)، ثم هنالك إلى (تمنارت) مشارطا ومستوطنا، ثم كان له شأن عظيم بالقضاء وبالدين والفضل والسنة، فقد رأينا له تلاميذ مذكورين في التاريخ ينيفون على عشرين، ونص بعض من ألف فيه أن له أزيد من ستمائة متخرج، وقال المؤرخون انه هو الذي أحيا العلم بـ (جزولة) وهذا كله يدل على ما تلك المدرسة العظيمة الشأن، توفي الشيخ 971 هـ، فدرس فيها بعده ولده محمد، بعدما مات إبرهيم الذي كان له شأن كبير في العلم والتدريس والتأليف، في 971 هـ إلى أن مات محمد 976 هـ، فدرس محمد بن إبرهيم بن محمد بن إبرهيم الشيخ الآخذ عن أهله وعن عبد الرحمن التينكَاتي، وابن مهدي الجراري ثم الدرعي، توفي سنة 1004 هـ، وأحمد بن إبرهيم أخوه أخذ عن أهله، توفي سنة 1048 هـ، ثم تتابع منهم ومن غيرهم مدرسون هنالك، إلى أن ختلت أحوال (تمنارت) أوائل القرن الثاني عشر، بتلك الفتن بينهم وبين الشرفاء الرؤساء، وقد تقدم أن فتكة واحدة في ليلة ميلاد أردت سبعة من العلماء، وكثيرا من التلاميذ، فذلك هو ما أخلى

المدرسة، فلم ترجع بعد إلى شأنها الأول، وإنما يشارط هنالك فقهاء، وغالبهم يتعاطى المبادىء أو لا يتعاطاها، ويقتصر على الخطبة كأحمد بن محمد الاغير، المشارط فيها سنة 1299 هـ، ثم الشافعي السكتاني من المتخرجين بـ (تمكدشت) فقد لازم هنالك من أول القرن إلى أن توفي نحو 1347 هـ، ولا ذكر للدراسة أصلا، فلكل زائر اليوم لـ (تمنارت) إن لم يكن مؤرخا لا يخطر له ببال ما مضى هنالك من المعارف الغزيرة استمرت قرنين، وهنالك أيضا في كتاب «الفوائد الجمة» مدرسون كثيرون من أهله، وهم أبناء أعمام أبناء الشيخ، ولعلهم يدرسون في قرية (إيمي اكدير) التي يسكنون فيها، كما مضى أيضا في (تيسلكبت) علم جم، وفي (أقـا) ومن ينسى مدرسة عبد الله بن المبارك من المتخرجين بمحمد بن إبرهيم الشيخ، وهو من أشياخ صاحب كتاب الفوائد

74) مدرسة زاوية الرسموكي الأقـــاوي

ولكن لم يبق اليوم لمدرسة عبد الله بن المبارك أثر، فإن هناك مدرسة حديثة صغيرة أسسها هذا الكريم الرسموكي من أغنياء تلك الجهة، فقد درس فيها أبو بكر الأموكاديري،، وهو ممن أخذ عن مسعود المعدري بـ (إلغ)، وهو فقيه محسن الفقه، اشتهر بذلك اشتهارا، وقد جال أيضا في النوازل مع الدراسة حتى الاحتلال، فقد كان رسميا إلى أن توفي 1355 هـ، ودرس هنالك أيضا قاضي (أقـا) اليوم الهاشمي الفاسي ممن أخذ بالمدرسة الالغية وبالتمكدشتية وبفاس، وهو أديب حسن لا يزال حيا، كما درس فيها أيضا سداتي، العلامة الصحراوي ولا يزال بها، وهو من أتقى العلماء وأجلهم.

75) المدرســة التمكّدشتيــة

كانت قبيلة(إيسي) من قديم مثابة العلماء والادباء والصالحين، ولا ينسى التاريخ احمد بن عبد الله المسكّدادي، ومدرسته في القرن العاشر، ثم تأسست هذه الجديدة الحافلة نحو1320 هـ، كما نظن، على يد الشيخ أحمد بن محمد، فكانت ثانية لـ (تمكّروت)، فنشرت من الافذاذ ما كانوا زينة (سوس) بل و(الحوز)، آخر القرن الماضي وأول هذا، فمدارس (مزوضة) و(أبي السباع) و(متوكّة) و(الشياظمة) و(حمر) و(الرحامنة) كلها أو غالبها من نفحات هذه، فقد ذهب محمد الهرغي، فأسس مدرسة (مزوضة) فتخرج منها مؤسس مدرسة (الساعدات) ومدرسة (بو عنفير) ومدرسة (أولاد مطاع)، ثم خرجت أيضا هذه من أسسوا مدارس في القبائل الأخرى، كما ذهب أيضا من متخرجيها الحسين التاملستي المتوكّي، بعدما تخرج منها فنشر في مدرسة (تاملست) ما نشر، ومثل هذا وقع في نواحي (سوس)، يعرفه كل أحد، وكل ذلك في صحيفة الشيخ أحمد، الذي درس بجد ونشر ما في صدره، ثم تلاه العلامة الحسن ولده، ثم الهاشم المتوفى سنة 1347 هـ، غير أنه استعان بمحمد البعقيلي الامَيِغْرَمَاني، وموسى الأوكى المتوفى نحو 1344 هـ، وكلاهما من المتخرجين وكان ذلك قبل عشرين، ثم قام بالمدرسة العلامة ناصر الالغي، فعمرها بجد، بقي من قبل عشرين إلى 1356 هـ حين أسلم الروح، فببركته دامت العمارة هنالك؛ فكان الطلبة لا ينزلون قط عن 60 طالبا إلى المائة، ولو كان يمشي في دراسته الجدية مشي الالغيين والأدوزيين والافرانيين من تمرين الطلبة، لكان لعمله أي شأن، وكان ورعا صوفي المشرب غريبا في مراقبته، وبوفاته انقطع الرجاء هناك، وأما أهل الزاوية فلا عالم فيهم، فهكذا دخلت هذه المدرسة في مدخل غيرها ولله الأمر من قبل ومن بعد، ثم أخبرنا أن بعض الطلبة يزاول فيها الدراسة أيضا.

76) المـدرسة الوجـانيـة

كان العلم وتدريسه في (وجان) قديما، وكان عبد الرحمن المسكدادي المتوفى 940 هـ القيوم به في عصره كما ينبغي، وقد تابعه علماء من الامزوغاريين في القرن الثاني عشر والثالث عشر، وفي آخر هذا كان هناك مدرس هو آخر المدرسين، وهو البشير بن عبد الرحمن، من الأسرة اليعقوبية، تخرج بالعربي الأدوزي، ولعله أخذ عن ابنه محمد أيضا، توفي سنة 1308 هـ، وبه انطوى التدريس في (وجان)، وبقيت معاهد الدراسة ينعق فيها اليوم

77) المدرسة التازالاختيـة

مدرسة مشهورة في القرن الثاني عشر، وممن مر فيها إذ ذاك العلامة عبد العزيز التازالاختي، من معاصر الحضيكي، وهو الذي اشتهر عنه أنه كتب كتاب «القسطلاني» على البخاري، بضوء سعف النخل ليلا، تضيء له زوجه سعفة فسعفة إلى أن أتمه، ولم نعلم وفاته، ويتعاطى الأدب، درس هناك كثيرا، فتخرج به أناس، كما مر أيضا هنالك عبد الله بن محمد الاسكاوري، أستاذ أبي زيد الاكشتيمي، فتخرج به أناس، أخذ عن الحضيكي وأحمد التكشتي وبناني وجسوس وأبي حفص والتاودي وادريس العراقي، توفي 1214 هـ، وكان لـ (تازالاخت) مكانة المدن، وهي مركز هذه الجبال أيام السلطان المولى إسماعيل، وأحسب أنها مذكورة في «المعجب» من مدن (سوس)، ثم سارت الدراسة فيها عرجاء في القرن الماضي، حتى اندثرت قبل أن يختتم

78) المدرسة الهارونية بإسافن نيت هرون

ممن مر فيها مدرسا عبد الله ابن الحضيكي، ومحمد بن سعيد التاكربنتي، من العلماء الذين أدركوا آخر القرن الثاني عشر، ثم تداولها بعض علماء في القرن الماضي، غالبهم لا يدرس حتى المبادىء، فكانت الوفاة استعجلتها قبل كل المدارس الأخرى

79) المدرسة التكموتية

بنيت إزاء قبر يزعم أنه قبر دانيال النبي، وأشهر من مر فيها العلامة أحمد بن عبد الله الكرسيفي، أخذ أولا عن عبد الله الخياطي الروداني وعن المراكشيين، ثم الفاسيين، ثم انتصب هناك 60 سنة متوالية كلها تدريس، حتى تخرج به أفذاد عظام، توفي سنة 1295 هـ، ثم خلفه فيها أخوه عبد الله، المتخرج به وبأكنسوس في (مراكش)، فدرس بجد إلى 1307 هـ فتوفى، ثمّ لم تر تلك المدرسة بعدهما من يشق لهما غبارا، إلا ما كان من الفقيه المامون السباعي فلا بأس به، وقد تخرج من المدرسة الططائية ثم انتقل إلى (االحوز)، فتوفي بـ (أبي السباع) بعد 1320 هـ، أو بعد ثلاثين

80) المدرسة الططائية

أسستها أسرة آل حسين في زاوية (الهناء)، وأولهم فيها عرف محمد بن حسين، أخذ عن ابن زكري، توفي نحو 1235 هـ، ثم ولده الآخذ بـ (تمكدشت) محمد بن محمد، واسطة عقدهم إلى 1295 هـ،فتوفي، ثم أحمد بن محمد المستتم بـ (فاس) إلى سنة 1301هـ فتوفى، ثم صنوه

المدني فتوفى أيضا قبل 1310 هـ، وهؤلاء كلهم بحور في المعارف، تخرج بهم كثيرون في تلك الجهة، ويقرأون بالمدرسة كل ما يقرأ بالمدن، وقد أدخل فيها أحمد المذكور تحسينات، ثم تولى الدراسة بعدهم ابن أختهم محمد بن عبد الرحمن الوادرحماني ممن تخرج بهم، وذلك تحت نظر رئيس الزاوية إبرهيم الفقيه، الى ان توفي محمد بعد 1320 هـ، ثم تصدر أيضا للتدريس أحمد بن عبد الرحمن من خريجيهم أيضا، وممن أخذ عن المامون السباعي، وقد درس هناك أيضا ما شاء الله، وأما إبرهيم فنجوه ضعيف، ولا بأس به في الفقه، وهو اليوم مرتطم في فض النوازل كقاض رسمي، وفي المدرسة صبابة

81) مدرسة تِيمِيشًا من قبيلة خْمِيّد

أشهر من مر فيها أخيرا ودرس فيها الحاج أحمد بن موسى الولتي، وقد تبعه فيها آخرون، ولكنهم دونه في الجد في التدريس

82) مدرسة إِوْزِيون

مر بها أخيرا أناس منهم عبد الله الأمغارتي، ممن أخذ أولا عن الحاج أحمد بن موسى ثم رابط بـ (القروين) ما شاء الله في أول هذا القرن، ثم رجع فأكب على التدريس، فتخرج به أكثر من عشرة، كلهم نجباء سدوا فراغا كبيرا، ولا يزال هو حيا إلى الآن، كما مر بها أيضا عبد الله بن وحمان السكْتاني القاضي المدرس، أخذ عن أهل زاوية (الهناء) عن يعسوبهم أحمد بن محمد، فدرس كثيرا إلى ما بعد 1330 هـ، فتولى القضاء بـ (سكْتانة) إلى أن توفي 1351 هـ، وولده الحاج إسماعيل قاض أيضا اليوم بـ (تالوين)، وهو ممن تخرج بالأستاذ داوود الرسموكي

الشهير، كما مر أيضا بتلك المدرسة الحاج أحمد بن موسى، وبعد هؤلاء لبست المدرسة ثوب الحداد

83) المدرسة العليا التتلتية

أعظم من حظيت به ثم لم تطمع أن ترى مثله الحسين اليعقوبي، الذي أفعمها دراسة وأبحاثا وتحقيقا وتدقيقا في مختلف العلوم، نحوا ولغة وبيانا وأصولا وفقها وحديثا وتفسيرا ومنطقا، كان ماهرا في ذلك كله، ثم لم يسعدهم الحظ به كل حياته، بل نفض يده بعد 12 سنة كان فيها مثال الجد، معتذرا بفساد طوايا الطلبة في مقاصدهم بالعلم، هذا ما زعم

84) المدرسة السفلى التتلتية

وبينها وبين الأخرى رمية حجر، أبطأ فيها الأمغرتي كثيرا مدرسا، ومر بها الحاج أحمد بن موسى، ثم غادراها تنذب شجوها هي وجارتها

85) المدرسة الأكْنضيفية

أشهر من مر بها أخيرا، وأعلمهم وأعظمهم تحصيلا، وألزمهم للتدريس، وأكثرهم تخريجا، مبارك النظيفي الشهير، صاحب العبارة الأنيفة، والهمة العالية، فأنّى تجد مثله

86) المدرسـة التـاكْـركـوستيـــة

ظفرت أيضا بمبارك النظيفي ما شاء الله، كما كان فيها الأستاذ أحمد الفقيه، ففيها وهو يقبل بتدريسه والمدرسة حافلة، مر به شيخه الالغي فملك عليه شعوره، فنسي كل شيء فتبعه، وهي مدرسة كبيرة لها شأن في قبيلة (سكْتانة)، وقد أسست إزاء ضريح الفقيه محمد بن إبرهيم، من أولاد الشيخ محمد بن يعقوب، وكانت عامرة منذ قرنين بالعلم، إلى أن هوى نجمها اليوم، وممن مر بها قبل ذلك محمد بن أحمد الأزنكْاضي، وفيها تخرج به ولد محمد بن محمد بن أحمد بن علي، المتوفى نحو 1310 هـ

87) المدرسـة الوِيساغْدْنِيـــة

منسوبة إلى الشيخ محمْد بن وساعدن، من أكابر الشيوخ الصوفية في القرن العاشر، ويظهر أنه عالم، لأن الطلبة الكثيرين كانوا منضافين إليه، يكسوهم ويغذوهم، كما يفعل ذلك بالمرملين، ويجتمع عنده سبعمائة أحيانا، فيقوم بالجميع، وكان حاله حال السبتي وابن عمرو القسطلي المراكشي، ولا عجب فإنه وابن عمرو أخذا معا عن الفلاح المتوكي، المشهور أيضا بهذا الحال، وقد ورثه عن شيخه التباع، وكان صاحب مائدته، وابن وسعدن معلوم بذلك في التاريخ، وقد تعجب منه الناس حياته، ولولده علي مثل هذا الحال، ثم كان مقامه بتلك المثابة دائما، فكانت المدرسة قائمة أحسن قيام، وهي و (التاكْركوستية) عظيمتان متوازيتان، وممن مر بها مدرسا أخيرا الحسن بن منصور وأحمد بن إبرهيم أنزي، لازمها الأول ما شاء الله، وهو من الآخذين عن الحسن الأرازاني فيما ذكر لنا، فدرس هناك إلى أن

فتك به فتاك، بغيا وظلما في حكاية، ولم نخبر بوقت ونوع ذلك به، وأما الثاني فقد كان في أول أمره بليدا، فأعياه الطلب في بلاده، فسافر إلى (فاس)، فتعجب حيث فتح عليه فيها، ثم درس هنالك مكبا على ذلك، إلى أن استولى الباشا الحاج التهامي على تلك القبيلة، فعرض عليه القضاء، فقال حسبتك دعوتني لتزيد لي شحْذا على بث العلم، إذا بك تريد أن أنقطع عنه إلى القضاء المميت للهمم، فأترك ما أعرف إلى ما لا أعرف، فأعجب به الباشا وأعلى شأنه، فأقبل على ما هو بصدده مع قلة الطلبة إلى أن توفي سنة 1351 هـ، فاوجفت أبواب الدراسة الجدية، إلا دبيبا في المبادىء غير دائم

88) المدرسة الارازانية

من أكابر المدارس التي قامت بنشر العلم بانتظام، فتتابعت منها أفواج المتخرجين طبقات فطبقات، وقد تأسست قبل 1270 هـ، بيد الشيخ أحمد بن محمد التمكّدشتي، وكان الحسن التملي مثل ولده الحسن الآخر فنصبه فيها، فاجتهد هذا اجتهادا غريبا، فلم يصل 1280 هـ حتى كان المتخرجون منها يملأون الأندية، وذلك ببركة المواظبة وحسن النظام، وتصحيح القصد، ومقدرة المدرس وراء ذلك، فكان المتخرجون منها هم علماء (سكّتانة) والقبلة منبتين، ومن بينهم الفقيه المحجوب المسفيوي، المدرس هناك في مدرسة (أغمات)، قبل أن يختتم القرن الماضي، ثم لما اعتنق الحسن التصوف الدرقاوي اعتنقه كل تلاميذه، فرجع نشاط العلم إلى هذه الجهة الأخرى، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، فاستحال كل المتخرجين مقدمين، يبنون الزوايا فنسوا المدارس إلا قليلا منهم، ولولا ذلك لتكونت منهم للنهوض بالعلوم بعد شيخهم طائفة كبيرة، ولم تزل المدرسة تنطفىء والزاوية تظهر، والطلبة

يقلون والفقراء يكثرون، حتى لا طالب هنالك اليوم، ثم قل الفقراء أيضا، فتبع الأثر العين، وكان من أولاده من درس، لكن أنّى لهم أن يجولوا جولته السابقة

89) مدرسة السراحنة

أشهر من مر فيها أخيرا فيما نعلم الحسن التكْاني، ممن تخرج في مبادىء الأستاذ الحسن الارزاني، له مشاركة كبيرة يذكر بها، ومثابرة على التدريس، وكان فصيحا قوي العارضة لا يسابق في ميدان الأبحاث، حكى بعضهم أنه رآه مع أقران له من علماء جهته يتسامرون في مسائل، فكان دائما هو المجلى، وقد تخرج به أفراد معلومون في تلك الجهة، ومع مهارقه في العلوم، وله بصر في الطب، وكُتبه يكب عليها علما وعملا، وبالجملة أنه فقيه حسن ومدرس مقتدر، واحوَذي في أعماله، توفي قبل 1320 هـ

90) المدرسة الكربانية

مبنية إزاء ضريح الشيخ محمد بن علي أكْرْبان، وهي مذكورة قبل القرن الماضي، وممن مر فيها محمد بن سعيد الزادوتي، من أسباط هذا الشيخ، أخذ عن الحضيكْي، كان يدرس هناك القرآن، حتى كان له ذكر، توفي سنة 1232 هـ، وممن مر فيها أخيرا من مدرسي العلم، لأنها علمية لا قرآنية إبرهيم بن محمد من أيت الحاج، تخرج بالحسن التكاني المتقدم، وهو نحوي جيد مستحضر للفقهيات، ابتدأ تدريسه سنة 1306 هـ، ولم يزل على ذلك إلى أن فارقها، فلزم داره إلى أن مات حوالي 1320 هـ

91) المدرسة الشراحبيلية

بزاوية الشيخ حسين بن شرحبيل، من أهل النصف الأول من القرن الثاني عشر، وقد قام بها أسباطه الثلاثة مَحمد ومُحمد وأحمد، أبناء بنته في النصف الأخير من ذلك القرن، وكان هؤلاء الثلاثة خير أخوة، فكلهم علماء مدرسون أعلوا من شأن زاويتهم بالعلم على عادة الناصريين، ومُحمَّد وأحمد منهم في النحو طبقة لا يعلى عليها، ولم يذكر أبوزيد الاكْشتيمي الذي أفادنا ذلك متى توفروا، ولكنهم على كل حال توفوا قبل 1214 هـ، وفي بينهم علم يذكر إلى آخر القرن الماضي، ولكن لسنا في تفاصيل أخبارهم على يقين، وكذلك أسماءهم، والمدرسة الشراحبيلية مشهورة على كل حال بالجد حتى طلع هذا القرن، وقد ذكر لنا مخبر أسماء علماء منهم، لكنه لم يتثبت فيها، فنبذنا ما ذكره

92) مدرسة بُونْرَارْ من إِكْطَّايْ

مشهورة بالعمارة قبل القرن الماضي، وآخر من درس فيها وعمرها أسرة آل الريش، الحاج محمد الريش من المتخرجين بالشريف الكثيري، ثم شارط في تلك المدرسة فخرج بها علماء كبارا، وفيها أخذ عنه ولده وأهله، فازدهرت بهم تلك المدرسة، إلى أن طغى حيدة في النصف الأول من العقد الثالث فأخلى هريها، فبقيت مقفرة، فتفرق الطلبة حيث يجدون مأكولا، وبقي الأستاذ وحده، فأقبل على عبادة ربه اعتكافا ومثل ذلك، ويا لله ما تلقى المعارف وأهلها من الجبابرة الجهال الطاغين

93) المـدرسـة التـامـازتيـــة

اشتهرت بدراسة اليزيديين محمد بن عبد الملك وخلفه، والغالب عبد الملك العلامة، الذي أخذ عن الأدوزي شارح «المرشد»، وذكر أنه في تلك الجهة هو والده، وأنه هو الذي أسس المدرسة ثم تلاه فيها ولده، وقد تخرج من هنالك أنـــاس

94) مـدرسـة الـمْنَـايْـزْلَـــة

اشتهرت بالروايات حين كان فيها عبد الله أخرباش، وقد عمرت بالطلبة، ثم بقيت بعده في تداع، وقد ذكر لنا بعضهم أن من رأى المنايزلة إذ ذاك، ورآها الآن، يعرف ما هو الفرق بين العمارة والخلاء، وبين الحياة والممات

95) المـدرسـة البعـريـريـــة

تقدم ما يتعلق بها، وبأعمال الطاهر وأولاده، الذين أسسوها وحافظوا عليها زهـاء قــرن

96) مـدرسـة سْطَـــارْت

من (تولوا) من قبيلة (أيت سْمّكْ)، لم نعرف أن هناك مدارس قديمة، وإن كان لابد أن تكون، وإنما أعمال أحمد الهشتوكي اللهج بالتدريس هي التي أبرزت (سطارت)، مدرسة لها شهرة في جيرانها في

أواخر القرن الماضي ولم تتعدها، ثم تلاه ولده محمد بن أحمد في المحافظة على تراثه، ثم ولده الآخر مَحمْد، وفيها الآن الفقيه محمد الاكبيلي، ولكن عمها ما عم كل المدارس، ولعل الاكبالي أخذ عن هؤلاء

97) مدرسة إساكْن

خاتمة مدرسيها المشهورين مسعود أفْلُوس، حفيد الشيخ مسعود أفلوس الكبير، أخذ عن أحمد اجّمْل وعن أحمد التمكّدشتي، وكان فقيها مشهورا بالبركة يجول في التدريس، ولم يسمع بعد موته نحو سنة 1314 هـ بمدرس آخر هناك فيما نعلم، اللهم إلا في مبادىء ضئيلة.

98) مدرسة

(1)

99) مدرسة

(2)

---

1) بياض بالأصل

2) بياض بالأصل .

100) المدرسة التِّيِّيوتية

تذكر قبل القرن الماضي، وممن مر بها العلامة أحمد الهوزيوي، وشهرته بالعلم طنانة، وهو شيخ الجماعة بعد الحضيكْي، حتى قال تلميذه أبوزيد الاكْشتيمي، لم أعرف اليوم من له بال في العلم إلا من الآخذين عنه إلا قليلا، وهذه شهادة، وجل دراسته بـ (تارودانت) وقد ترجمه تلميذه ترجمة حسنة في كتابه، «الحضيكْيين»، توفي 1214 هـ، ومر فيها أيضا الحاج محمد اليزيدي، لأن إبرهيم من رؤساء (تييوت) والد القائد محمد بن إبرهيم ممن أخذ عنه، فاستقدمه لعمارة مدرستهم، وللقوم همة في العلم أمس واليوم، ومر أيضا هناك فيما سمعت الأديب محمد ابن الحاج الافراني ولكن الذي درس فيها كثيرا، وخرَّج هو الأديب داوود الرسموكي، فقد أبطأ هنالك، وعهدنا به لا يزال فيها.

وبعد، فهذه مائة مدرسة ضمت غالب كبريات مدارس (سوس)، وممن درسوا فيها أخيرا،[1] وليس مقصودنا أن نذكر المشاهير منها، وإلا لاحتجنا إلى زيادة مثل هذه الأرقام، ولا كان مقصودنا حشر كل ما يسمى مدرسة، فإن ذلك يصل إلى ما فوق ثلاثمائة أو أربعمائة، والدليل على ذلك أن في (هشتوكة) أكثر من عشرين كلها تذكر، ولم نذكر منها إلا نحو خمسة، وفي (هوارة) إثنتا عشرة، ولم نذكر منها إلا واحدة، وفي (أيت بعمران) نحو عشرة، ولم نذكر إلا نحو ثلاثة، وفي (الأخصاص) نحو ثمانية، ولم نذكر إلا أربعة، وفي (مجاط) نحو سبعة، ولم نذكر إلا واحدة، وعلى هذا فليقس القارىء ليعلم أن قوله نحو أربعمائة، إنما ذهبنا مع أقل ما نتصوره قبل ان نحسب.

ثم إن كل ما يسمى مدرسة، فهو مهيأ للعلم غالبا إلا قلائل، فهي لروايات القرآن، وقد يتداول القرآنيون والعلميون واحدة، لكن لا يحسبن أيضا القارىء أن كل مدرسة كانت عامرة في العهد الماضي فالأمر ليس كذلك، فإن العمارة المعهودة في الماضي تقاس بنحو المائة، والمدارس التي لا يكون فيها إلا العشرون تعد إذ ذاك غير عامرة، والعمارة في جبال (ولتيتة) وما يجاورها، أعظم منها في مدارس (سكْتانة)؛ كما أن كثرة العلماء والتفوق تكون في تلك الجهة بالاجمال، وقد يكون في النواحي الأخرى واحد أعظم من كل علماء (ولتيتة) أو يساويهم، كالحسين اليعقوبي، ومحمد بن يوسف، ومحمد بن محمد الطاطائي، وأحمد ولده، ومحمد الأزنكْاضي وولده، فإن هؤلاء يضاهون محمد بن علي بن سعيد الايلالني، وأحمد اجّمْل، وأبا سالم الاكْراري، والعربي الأدوزي وابنه، والتمكْدشتي وأمثالهم

والحاصل أن العلم كان منتشرا في كل قبائل (سوس)، إلى أن تم القرن الماضي، فبدأ النقص أولا من جهة، حتى أقفرت القرى العلمية كـ (الركن)

---

1) سيجد القارىء في كتاب سوس العالمة ذكر لهذه المدارس أيضا. (الناشر).

و (تزمورت) التي إزاء (طاطا)، محل هناك مشهور بكثرة العلماء، و (إرفالن) و (إمي نتاتلت) و (أقا إزنكاض) ثم زاوية (الهناء)، من علماء متفوقين إلا قليلا، ثم ما انتصف هذا القرن حتى لم يبق هنالك إلا قليلون جدا، ضعفاء بالنسبة لمن تقدموهم من المذكورين، وهذا ما وقع أيضا لـ (سكّتانة) و(راس الوادي) فلم يبق هناك من العلماء المتقنين إلا أفراد، يدرجون واحدا فواحدا، ثم دب ذلك نفسه إلى جبال (ولتيتة)، وإن كان ذلك لا يظهر إلا للمفكر، فقد خلت المدارس من التدريس بالكلية، إلا قليلة لا تذكر بمناسبة غيرها، والهمم كذلك مالت إلى احتقار العلم وأهله، وهذا السيل الجرار الذي بقي من وراء نقاية العلماء الدارجين، عن قليل سيمضي أيضا، فماذا تكون حالة (سوس) حينئذ ؟ ولم نعرف الآن من العلماء المحصلين المتمكنين الذين يستحقون هذا الوصف من شيوخ تلك الجهة إلا العلامة الطاهر الافراني وولده محمد، وأحمد بن صالح الافراني، وعبد الله بن محمد الالغي، وأحمد بن إبرهيم التكّنتي، وعلي الجزولي التملي، وأحمد بن محمد اليزيدي، وعبد الرحمن البزكارني، وعلي بن الطاهر الرسموكي، والحاج مسعود الوفقاوي، ، وموسى الرسموكي القاضي، وداوود الرسموكي، فربما لا تقدر أن تزيد في هذه الطبقة على هؤلاء إلا إذا أغمضت، ثم تجيء الحلبة الأخرى بعدها من الذين يدبون إلى الكهولة، فتجد مثل عيسى الأدوزي، والحسن بن مبارك البعقيلي، والمدني بن علي والطاهر أخيه، وعبد الله بن إبرهيم، والحسن الحيسالي، ومحمد الحامدي، وأحمد بن سعيد الاكّاري، وأحمد أزكاي، ثم تعد ما تعد فلا تصل من أمثال هؤلاء النجباء العشرين، وهذا كل ما كان، ولكن من الانصاف أن نعرف أننا منذ افتتحنا بالعلامة الطاهر نتدلّى، وبين الطبقة التي ذكر معها وبين هذه درجـــات

انتهى

محمد المختار السوسي

لطف الله بـه

فهــرس الكتــاب

الباب الأول مبحــث القــرآن

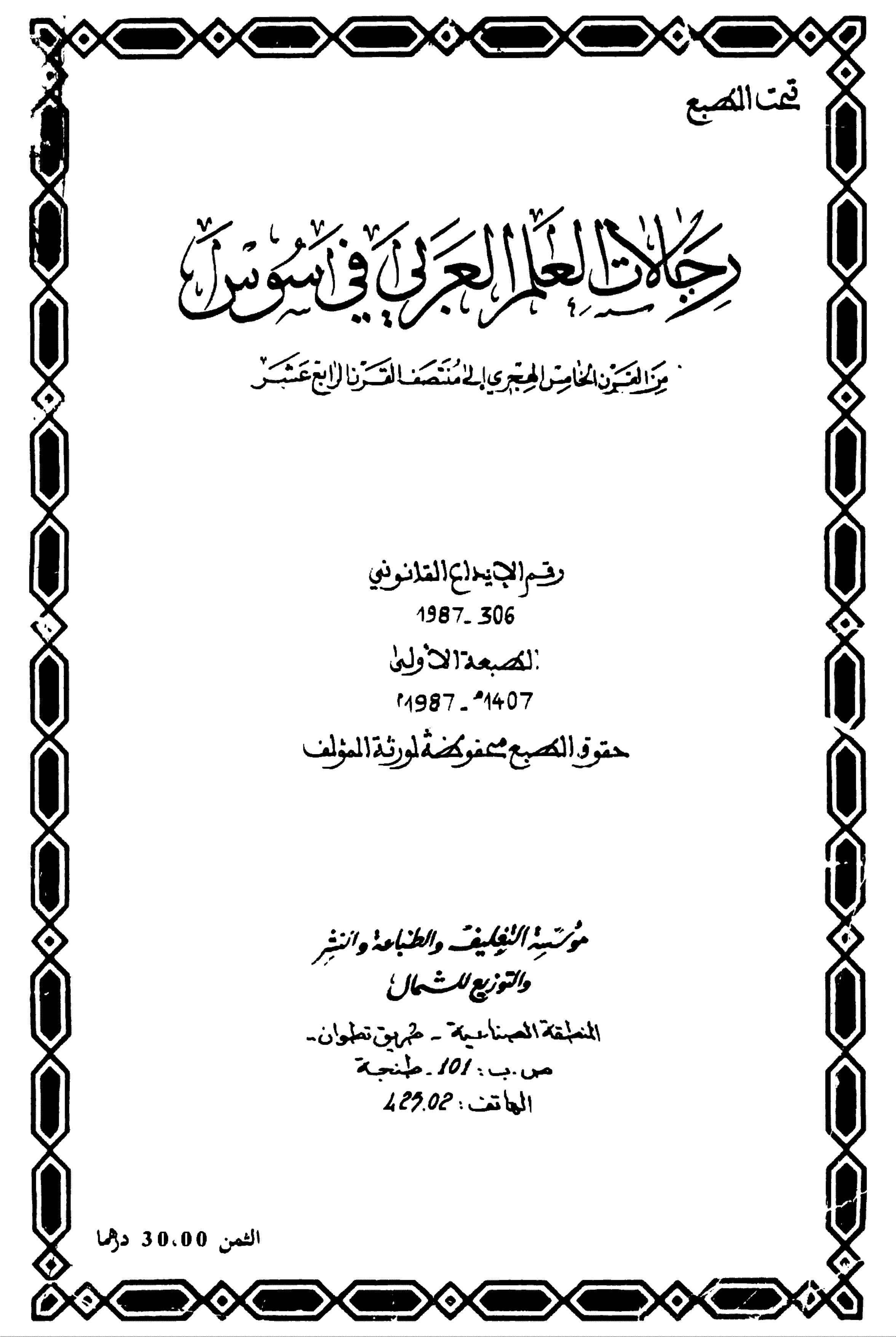
الباب الثاني مبحث العلــوم

الباب الثالث **مبحث الديـانة**

الفصــل الثانــي

في ذكر مشهورات المدارس من بين القبائل وذكر من كان درس فيها من العلماء المشهورين من الأحياء ومن الأمــوات

مؤسسة التغليف والطباعة والنشر والتوزيع للشمال
المنطقة الصناعية ـ طريق تطوان ص. ب. 101
الهاتف : 425.02 ـ طنجة



تحت الطبع

رجالات العلم العربي في سوس

من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر

رقم الإيداع القانوني

1987 - 306

الطبعة الأولى

1407هـ - 1987م

مؤسسة التغليف والطباعة والنشر

والتوزيع للشمال

المنطقة الصناعية - طريق تطوان -

ص.ب : 101 - طنجة

الهاتف : 425.02

الثمن 30.00 درهما